الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

المـــــوضـــوع:

جهود الشيخ البشير الإبراهيمي في إحياء اللغة العربية في الجزائر

إعداد الطالبة

بوداود يمينة

إشـراف الأستاذة :

أ .د . عمارة حياة

لجنة المناقشة:

أ. الدكتور	عباس محمد	رئيسا
أ. الدكتور	بوعلي عبد ناصر	ممتحنا
أ. الدكتورة	عمارة حياة	مشرفا ومقررا

العام الجامعي: 1440/1439هـ /2018-2019م

إهـــــداء

إلى أبي و أمّي أطال الله في عمرهما و منّ عليهما بالصّحة و العافية

إلى زوجي و ابني شهاب الدّين حفظه الله

إلى إخوتي وأختي

إلى كلّ العائلة

شكـــــر

الحمد لله حمدا كثيرا و الشكر لله الذي أنعم علينا بإتمام هذا البحث.

أتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة الدكتورة حياة عمارة على ما بذلته من جهد في تقديم التوجيهات، و تذليل الصعوبات طيلة إنجاز هذا البحث، فلها منّي أخلص مشاعر التقدير و العرفان على إرشادها وعونها وتشجيعها لي .

و أتوجّه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة.

كما أتقدّم بالشكر و العرفان لكل من ساعدني من قريب أو بعيد لإتمام هذا البحث، ولو بكلمة طيّبة، دون أن أنسى تقديم خالص الشكر إلى معينتي في هذه الحياة، ومضيئة دربي أمّي أدام الله لها صحّتها وعافيتها

إن شاء الله

مقدمـــــــة

الحمد لله ربّ العالمين و الصّلاة و السلام على رسوله الأمين، أمّا بعد

فكان ولوع الشيخ البشير الإبراهيمي –رحمه الله– باللغة العربية وتقديسه لها شديدا و ذلك لأنّها لغة القرآن الكريم ورمز هوية الأمّة و أساس وجودها الحضاري و التّاريخي، وهو الذي وعى أكثر من غيره هذه الحقيقة و أدرك جيدا أنّ تطوّر الأمّة من المحافظة على لغتها و النّهوض بها، و أنّ ضعفها من ضعف لغتها و عجزها عن مواكبة العصر، كما أدرك أنّ الأمّة حين تهمل لغتها تصبح تابعة لا متبوعة ومنقادة لا قائدة، ويكون من السّهولة بمكان السيطرة عليها وإخضاعها لصالح الآخر حين يأتي له بسط نفوذه بالانتصار للغته و إحلالها محل اللّغة الأم للشعب المغلوب على أمره .

ومن هنا يتبادر إلى أدهاننا مجموعة من التّساؤلات :هل استطاع البشير الإبراهيمي تحقيق غاياته من خلال الإصلاحات التي قام بها في الحفاظ على مكانة اللغة العربية في الجزائر ؟ و ما هي الوسائل التي ساعدته لتحقيق هذا الغرض ؟هذه الأسئلة و أخرى نحاول أن نجيب عنها في بحثنا هذا.

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى ما يعتري اللغة العربية من إهمال، وهيمنة اللغات الأجنبية –خاصة منها الإنجليزية– على الساحة، بحيث أصبحت لغة القرآن تعاني التّهميش و الإهمال من طرف أبنائنا أمّا السبب الثاني فهو ولوعي الشديد بكتابات العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي، ما جعلني أخوض في غمار هذا الموضوع لأشبع نهمي و فضولي العلمي .

وفقد استعنّا بمؤلّفات الشيخ البشير الإبراهيمي بالدّرجة الأولى، وهي على التوالي:

"عيون البصائر" –و" آثاره بأجزائها الخمسة " ،كما قد وجدت في كتاب الدّكتور "محمد عبّاس" "البشير الإبراهيمي أديبا "خير معين لما يحويه من دراسة وافية للشّيخ البشير الإبراهيمي و أدبه.

واتّبعنا المنهج الوصفي التّحليلي في دراستنا لآثار الشيخ الّتي ساهمت بشكل كبير في الحفاظ على اللغة العربية .

وقسّمنا بحثنا إلى مدخل وفصلين بعد هذه المقدّمة و ختمناه بخاتمة و قائمة للمصادر و المراجع و أخرى للموضوعات .

أمّا المدخل كان بمثابة عرض لأهمية اللغة وما كان للجمعية من فضل في إصلاح ميدان التعليم خدمة للغة بالدّرجة الأولى .وكان الفصل الأوّل في شقّه الأوّل، عبارة عن إطلالة تاريخية على أعمال الشيخ البشير الإبراهيمي بعد تولّيه رئاسة جمعية العلماء المسلمين ، أمّا الشق الثاني فخصّصناه لميادين الإصلاح عند الشيخ،التي شملت الإصلاح الديني و الاجتماعي مركّزة على إصلاح التّعليم لأنّه أساس الحفاظ على اللغة وموضوع بحثنا .

و أوردنا في الفصل الثاني الوسائل التي اعتمدها الشيخ الإبراهيمي–رحمه الله– في الدّفاع عن اللغة العربية ونشرها بين صفوف الشعب الجزائري من مدارس ومساجد وصحف ...كما أوردن نموذجين لمقالاته ضمّتها البصائر ألا و هي "اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرّ ليس لها ضرّة "و "سجع الكهّان".

وقد اعتاد الباحثون أن يحصروا العوائق التي تعترض بحثهم في قلّة المراجع، أمّا بحثي فعلى النّقيض من ذلك ، فمثّلت وفرة المصادر و المراجع وتنوّعها أهمّ العوائق التي واجهتني بحيث لقيت صعوبة في جمع المادّة وفرزها وترتيبها، غير أنّني استطعت تجاوز هذه الصّعوبات بعون الله وقدرته أوّلا، ثمّ بعون أستاذتي المشرفة الدكتورة عمارة حياة ثانيا التي كانت لي نعم المعين من حيث التّوجيه و التّصحيح و القراءة، فلها منّي كل الشكر و التّقدير، و أسأل الله أن يرزقها الصّحة والعافية ويعينها في إتمام رسالتها، كما لا يفوتني أن أسدي خالص الشكر و التقدير لأعضاء اللّجنة الموقّرة، كل من الدكتور محمد عبّاس و الدكتور بوعلي عبد ناصر على تكبّدهم معانات قراءة بحثي وتصحيحه.

الطالبة : بوداود يمينة

عين يوسف في:04 ذو القعدة 08/1440 جويلية 2019

جامعة تلمسان

مدخل

جهود جمعية العلماء المسلمين الإصلاحية

ممّا لا شك فيه أنّ اللغة العربية كانت ولا تزال عنوان أمة بكاملها،بل وضمير حضارة يراد لها أن تبيد، إن دور العربية في حفظ الإسلام وحضارته كدور الإسلام في حفظ اللغة وثقافتها،كما أنها أهم مقومات الأمم وعناصر شخصياتها وأسباب عزّها، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي* في ذلك"إنّ اللغة هي المقوم الأكبر من مقومات الاجتماع البشري وما من أمة أضاعت لغتها إلاّ وأضاعت وجودها واستتبع ضياع اللّغة ضياع المقومات الأخرى."[1]

كما تمتاز اللغة العربية عن غيرها بأنها لغة الدين، لغة القرآن والسنة، لغة العلوم الدينية و الدنيوية . لذلك فإن إحياء الذّين في نفوس أهلها و بيانها بيان لمحاسنه يقول ابن باديس*:...لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده و أخلاقه و آدابه وأحكامه ولا تعليم له إلاّ بتعليم لغته..." [2] ويؤكد الشيخ البشير الإبراهيمي الفكرة ذاتها مبينا فضل اللغة العربية:"لغة الأمة هي ترجمان أفكارها وخزّانة أسرارها ،والأمة الجزائرية ترى في اللغة العربية أنها حافظة دينها ومصحة عقائدها و مدونة أحكامها،وأنها صلة بينها و بين ربها."[3]

* الشيخ محمد الإبراهيمي :ولد عام 1889 وتعلم على والده وعمه وأكمل تعليمه في الحجاز بعد هجرته إليها في عام 1911 ثم رجع إلى الجزائر في عام 1920 وشارك في تأسيس جمعية العلماء ، وكان نائب رئيسها لعدة سنوات وبعدة وفاة ابن باديس انتخب رئس لها وعمل على توسيع نطاقها واستمر رئيس لها حتى توقفت عن العمل في 1956 أثناء الثورة الجزائرية المجيدة،توفي يوم 19 ماي 1956 بعد استقلال الجزائر _تركي رابح- الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث الجزائر المعاصرة _ الجزائر _ موقع للنشر _ 2003 _ ط2 ص 48 .

1ـ أحمد طالب الإبراهيمي –آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ـ دار الغرب الإسلامي ـ 1997 _ ج1 _ص134 .

* ولد عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس في ليلة الجمعة الرابع من شهر ديسمبر سنة1889 ميلاده في مدينة قسنطينة بالشرق الجزائري وكان الولد البكر لوالده ، تلقى تعليمه على الطريقة التقليدية ،فحفظ القرآن الكريم أولا وسنه يبلغ ثلاثة عشر عامّا ، وكان رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ، ورائد الفكرية والإصلاحية والقدوة الروحية لحرب التحرير الجزائرية إلى أن توفي ستة 1940 بسرطان في الأمعاء ـ نقلا عن:تركي رابح-الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة -مرجع سابق-(صفحات متفرقة) .

2ـ ابن باديس عبد الحميد –آثار ابن باديس-بتصرف يسير- الجزائر_ قسم المطبوعات وزارة الشؤون الدينية-1991_ ط1 _ج4_ ص126

[3]- محمد البشير الإبراهيمي-عيون البصائر-القاهرة-دار المعرفة-1930م-ص310.

وإدراكا من الجمعية وعلمائها أهمية اللغة العربية ودورها الفعال في حفظ كيان الشعب الجزائري ،أولتها اهتماما كبيرا وجعلت منها إحدى المبادئ المهمّة التي تحارب لأجلها عن طريق مشروعها الإصلاحي وهذا لكون "العربية بكل ما تحويه من حضارة وثقافة ولغة قرآن كريم تمثل سدّا حائلا بين فرنسا وبين تحقيق سياستها في فرض الفرنسية والتغريب على الشعب الجزائري ."[1]ولما كان الاحتلال يعي أهمية هذه اللغة عمد إلى طمسها بكل ما أولى من قوة ، ومحو كلّ ما هو عربي وسن في ذلك القوانين المحققة لهذا الغرض، من ذلك :الإجراءات الموجهة لضرب اللغة العربية والتشديد الحصار عليها وعلى تعليمها ،وفرض اللغة الفرنسية وجعلها لغة رسمية ،ومضايقة المدارس العربية و معلميها ،إذا " بدأ حربه ضد اللغة العربية الفصحى ومعاهدها ورموزها ورجالاتها لكي يتمكّن من تقطيع أواصل هذه الأمّة وتجزئتها وغزلها عن دينها الإسلام ، بعزلها عن كتابتها ومرشدها القرآن العربي المبين ."[2]

لم تكتف الإدارة الفرنسية بحرمان الأهالي من تعلم لغتهم والاتصال بثقافتهم ، بل عمدت إلى حرمانهم من نعمة التعلم عموما ،لأنها كانت تخشى من الإنسان المتعلم ، فالتعلم يفتح أمام الشخصية آفاق فكرية ،ويعطيه فهما دقيقا بالمحيط ،وهذه الحقيقة دفعتهم إلى تطبيق مجال التعلم الموجه إلى الجزائريين . "فانتشار اللغة العربية يشكل خطرا على الوجود الفرنسي في الجزائر الإسلامية ويقضي على مخططاته الهادفة إلى فرنسة الجزائريين والقضاء على أصالتهم ، ولذا عمل على محاربة اللغة العربية بشتى الوسائل ومختلف الأساليب للحدّ من تعلّمها و انتشارها."[3]

كما قد جاء في إحدى التعليمات التي صدرت في قانون شوطان "أنّ الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتها هناك لغة قومية."

وهكذا أخذت فرنسا تبعد الشعب عن لغته بشتى الوسائل والتي من أبرزها :

_القضاء على معظم مراكز الثقافة العربية من مدارس والمساجد والكتاتيب وزوايا .

1-تركي رابح-الشيخ عبد الحميد بن باديس-رائد الإصلاح و التربية في الجزائر-الجزائر-2001المؤسسة الوطنية للاتصال –ط5- ص125.

2- أبو قاسم سعد الله_ لحركة الوطنية الجزائرية _بيروت_ دار الغرب الإسلامي _1992_ط4_ج2-ص294 .

[3]_ بسام العسلي _ عبد حميد بن باديس وبناء قائدة الثورة الجزائرية _بيروت _ دار النفائس _1986_ط2_ص(40_50).

_نهب التراث الثقافي العربي الإسلامي من (مخطوطات،وثائق ،كتب).

_ خنق الصحافة العربية ومنع انتشارها ومضايقاتها .

وقد تصدت جمعية العلماء لمكائد الاستعمار ، فحملت فكرة الإصلاح في كل ميادين الحياة بما في ذلك ميدان التعليم، وذلك بإحياء التعليم العربي وبثه في صفوف الناشئة، ونشره في كتاتيب القرآنو إنشاء المدارس العربية الحرّة التي لا تتبع للإدارة الاستعمارية، فقطعت في ذلك شوطا رغم العراقيل و المعوقات .

كما شجعت الكتاب والمثقفين و المتعلمين على كتابة المقالات وإنشاء القصائد ونشرها في جرائد الجمعية ،ولم تستسلم لتهديد الاستعمار وعقوباته وقوانينه الجائرة ،ويقول الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا الشأن:"قد فهمنا –و الله _ ما يراد بنا ، وإنّا نعلن لحضورهم الإسلام والعربية أنّنا عقدنا على المقاومة وعزمنا ، وستمضي_بعون الله_ في تعليم دينا ولغتنا ، رغم كل ما يصيبنا ، ولن يصّدنا عن ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا ،وإنّا على يقين من أن العاقبة _وإن طال البلاء _لنا ،وأن النصّر سيكون حليفنا لأنّا قد عرفنا إ يمانا وشهدنا عيانا أن الإسلام والعربية قضى الله بخلودها ،ولو اجتمع الخصوم كلهم على محاربتهم ."[1]

فاللغة العربية بالنسبة لابن باديس هي الجسر الذي يصل أبناء الأمة بأسلافهم ويعزز الروابط بين أفراد الأمة الواحدة لذلك يجب المحافظة عليها،ي قول:"إنّها وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا–وهي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا ، و بها يقيس من يأتي بعدنا من أبناءنا وأحفادنا الغرّ الميامين أرواحهم بأرواحنا، و هي وحدها اللسان الذي نعتز به ، وهي الترجمان عمّا في القلب من عقائد وما في العقل من أفكار، وما في النفس من آلام وأمال ".[2]

ثم يضيف"إن هذا اللسان العربي الغريزي الذي خدم الدين وخدم العلم وخدم الإنسان هو

1_آثار الإمام ابن باديس _ مصدر سابق _ج4_ص128 .

[2]_تركي رابح– الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصر _ مرجع سابق _ص103.

الذّي نتحدث عن محاسنه منذ زمان ونعمل لإحيائه منذ سنين فليحقق الله أمانينا " [1]

أولا: جمعية علماء ا لمسلمين ودورها في إصلاح التعليم :

إنّ لكل أمة علماءها ومثقفيها ومفكريها وأدباءها الذّين يحملون على عوائقهم مهمة تعليم النّاس ، ورسم معالم الطّريق، من أجلّ بث الروح فيها من جديد، بعد أمد من الجهود و الركود المفروضين عليها. هذه المهمة النبيلة قد باشرها "أمثال الإمام عبد الحميد بن باديس وأصحابها الذين استطاعوا في الثلاثينات والأربعينات أن يهبطوا إلى أعماق الروح الشعب الجزائري وأن يصعدوا بها، و هم الذين أسهموا بأكبر قدر في صنع الجيل الذي غير الواقع الجزائري وعكس العلاقات بين فئة الغالبين و المغلوبين ."[2]

وبما أنّ هذه الحركة لا يمكن أن يقوم بها شخص واحد أو جماعة محدودة العدد، تطلع هؤلاء المصلحين إلى الدخول في مرحلة جديدة تتكامل فيها وسائل العمل النّضالي.

فالاجتماع حول منظمة خاصة بهم تتبلور فيها أفكارهم ،وتتجسد أهدافهم ضرورية ملحة أملتها شمولية فكرة النهضة، وعمقها الحضاري البعيد المدى" فجاء تأسيس هذه الجمعية ليضع حدّا فاصلا وحاسما بين ماضي الجزائر، وهي تحت النيّر الاستعماري ، وبين حاضرها الذي أشرف زاهيا في ميدان النهضة الإسلامية العربية ، ولقد كان ذلك الحاضر الجديد هو الأساس الرّاسخ الذي بني عليه المستقبل،مستقبل الجزائر تحت رايّة الحرية والاستقلال ".[3]

يعرف البشير الإبراهيمي جمعية العلماء فيقول " جمعية العلماء جمعية علمية دينية تهذيبية ،فهي بالصرفق الأولى تعلمّ وتدعو إلى العلم، وترغّب فيه ، وتعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا لتتستر، وهي بالصفحة تعلم الدين والعربية لأنه ما شيئان متلازمان، وتدعو إليها وترغب

[2]– آثار الإمام ابن باديس _ مصدر سابق _ج1_147 .

[3]–د.إبراهيممدكور _ المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي_ نقلا عن : محمد عباس _البشير الإبراهيمي أديبا_ المطبعة الجهوية وهران _ديوان المطبوعات الجامعية-1984_ص40 .

[3]_ بسام العسلي _ عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية _مرجع سابق_ص115 .

فيها وبالصفحة الثانية تدعو إلى مكارم الأخلاق الأولى الذي حض الذين والعقل عليها ،لأنها من كمالها وتحارب الرذائل الاجتماعية التي قبّح الدين اقترافها ، وذم مقترفيها، وتعمل لترقية فكر المسلم بما استطاعت ، ترشد إلى الأخذ بأسباب الحياة الزمنية والجمعية فيها وراء هذا مرتبطة بالعلم الإسلامي أفراد وشعو با، بما يترابط به المسلمون من حقائق دينهم ومظاهر ه، وفيما عدى هذا فالجمعية جزائرية محدودة بحدود الجزائر ، ملزمة بقانون الجزائر لأن أعضاءها كلهم من أبناء الجزائر."[1]

وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس_قبل أن يلتحق به رفيقه بمدّة زمنية –قد بدأ حركة التعليمية والإصلاحية ، فأصبحت فكرة الإصلاح تمثل في مبدأ ابن باديس مفهوم الجهاد والثورة على الأوضاع القائمة في الجزائر يومئذ من طغيان الاستعمار بكل جراثيمه ومن تخلف فكري وليد عادات وتقاليد هي من صنع البدع والأهواء الضالة .

واختمرت الفكرة في أذهان العلماء والفقهاء إلى حين احتفال السلطات الفرنسية ، بمرور قرن من الزّمن على احتلالها للجزائر سنة 1930، وما دار في هذه الاحتفالات من استفزازات لمشاعر الأمة والوطن فتسارع هؤلاء إلى جمع الكلمة في تنظيم ديني وثقافي واجتماعي[2] .

بحيث استبشر الإبراهيمي بما ستحققه جمعية العلماء في قوله:"إنّ الجمعية العلماء هي تباشر الصبح وسترونها تتصدع عن فجر صادق، ثم عن شمس مشرقة[3]."

لقد حاولت هذه الجمعية التي برز دورها كهيئة وطنية ممثلة للأمة ، الدفاع عن مقومات الشخصية لأنها أحست بمسؤولياتها في هذا المجال حيث لمست روح المقاومة في صفوف الشعب فدعتهم إلى الالتفاف حول مشروعها الإصلاحي وبرنامجها التعليمي، الذي ركزت فيه على تعليم اللغة العربية ونشرها وتحبيبها للناشئة ، وقد أسهم ابن باديس رئيس هذه الجمعية وغيره من العلماء في تنمية هذه الرّوح من خلال المهمة التي نذر نفسه للقيام بها، بفضل خطّ ته التعليمية ودروسه التثقيفية

[1]_محمد طيب العلوي _ التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال- الجزائر- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة_1994_ص114.

[2]_جمعية العلماء المسلمين الجزائريين _ جريدة البصائر 4_134هـ_1355_الموافقة ل1935_1937م_العدد1_ط1_ ص ط.

[3]_محمد عباس_البشير الإبراهيمي أديبا- المرجع سابق_ص41.

ومقالاته الصحفية التي بين فيها مكانة اللّغة العربية ودورها الرائد في بناء نهضة الأمّة وأهميتها في تنمية الفهم الديني الصحيح وترقية الذوق الأخلاقي. يقول البشير الإبراهيمي :" جمعية العلماء التي تعد أشرف أعمالها تعليم العربية وقد أقامت خمسة عشر عاما تطالب في غير ملل بحريّة التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني ، ومازالت تصارع العوارض الحائلة وهي عوارض القرارات الإدارية والقوانين الموضوعية لخنق العربية وقتلها [1]".

وجندت الجمعية مختلف الوسائل بغية تحقيق غايتين شريفين ويظهر ذلك جليّا في الخطاب الذي ألقاه الشيخ البشير الإبراهيمي في اجتماع الجمعية العام، حيث يقول"إنّ جمعتكم هذه أسست لغايتين شريفين ، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويهما مكانة، وهما إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية".[2]

فلا غرابة أن تحصر أهداف الجمعية في هاتين الغايتين لأن بهما تصبو الأمة إلى كلّ الغايات ،فالأولى هي الإسلام بمعناه الشامل عقيدة ومنهج حياة يبني به الفرد والمجتمع وفق ما أراده عزّ وجلّ، والثانية هي أداة فهمه والحصن المنيع الذي يقي الأمة من الضياع.

وفي هذا شأن يقول البشير الإبراهيمي مخاطبا أعضاء الجمعية"... والإسلام أن تضيعوا لغة كتاب الله ولغة الإسلام، إلاّ أن ترجعوا إليها لتحيوها ، بل لتحيوا و الفضيلة الإسلامية في نفوسكم الفضيلة الإسلامية في نفوسكم ولتحيوا بها الحياة التي يريدها الله منكم..."[3]

ومن وحي هاتين الغايتين صاغ العلماء شعار الجمعية الخالد "الإسلام دينيا العربية لغتنا الجزائر وطننا." ومضوا تطبيق هذا الشعار على أرض الواقع فحققوا أعمالها مجيدة للشعب تمثلت في مجموعة من الإصلاحات من أجل السياسة فرنسا الاستعمارية وتحافظ على الشخصية الجزائرية الاستعمارية ،وتحقّق التغير الاجتماعية في الجزائر وتعمل على إعادة الفعّالة الحضارية اللغة العربية حتى تصبح الأداة ألأساسية في التفكير والكتابة والتواصل بين الأجيال .

[1] _ محمد البشير الإبراهيمي_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي _ مرجع سابق_ج1_ص133.

[3] _ محمد البشير الإبراهيمي_ أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي _ مرجع سابق _ج1-ص135 .

ولقد بدت هذه الفعالة واضحة في حرية التربية والتعليم الواسعة التي عمّت جميع أنحاء الجزائر لاسيما بعدما تفشى الجمل وعمّ أوساط الشعب الجزائري بفعل سياسة التجهيل التي مارسها المستعمر والتي ترمي إلى القضاء على هوية الأمة الجزائرية ،بحيث أن غالبية السّكان وبالأخص الأطفال حرموا من التعليم خلال لفترة الاستعمارية نظر القلة المقاعد الدراسية ،وقلة المدارس الحكومية التي أنشأتها فرنسا لفئة قليلة من الجزائريين ، فسعت الجمعية إلى إصلاح الواقع التعليمي في الجزائر محاولة تحسين الوضع الفكري عن طريق تأسيس المدارس لإعداد جيل متشبع بالمبادئ والقيم الإسلامية وتقنا اللغة العربية محافظ عليها ، ولم يقتصر عملها على المدن الكبرى فقط بل وصل إلى مختلف مناطق الوطن وتجاوزه إلى أعماق فرنسا وذلك لإشرافها على بعض الجمعيات الخاصة المكثفة بتعليم المهاجرين الجزائريين للغة العربية والدين الإسلامي على الخصوص،وقد أدرك زعماء النهضّة والحركة الوطنية معركة العلم ودورها في الصراع الاستعماري وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس منذ عودته من الزيتونة 1913، فكان أن حمل على عائقه تأسيس المدارس والجرائد لتكوين الديني والسياسي ، وتأسيس المساجد الحرة للتربية والتهذيب فضلا عن العبادة وكذلك النوادي التهذيب والحوار و المثقفة، وعصب هذه المنظومة كلها اللغة العربية، فهي ليست أداة تعليم فحسب ولكن رمن الهوية ودين وشعب[1].يقول ابن باديس :" ولا رابطة تربط ماضينا يحاضرنا الآخر والمستقبل السعيد إلا بهذا الجيل المتين :اللغة العربية لغة الجنس ، لفة القومية [2]" فلقد عمل جاهدا على نشر اللغة العربية عن طريق العلم والتعليم في المدارس الحرّة مائة وخمسين مدرسة تحوي مائة وخمسين ألف تلميذ ولم تتعدى ثلاث مدارس وتحت تصرف المستعمر بحيث هذه المدارس التي أنشأها ، تدرس اللغة العربية وأصول التعليم الإسلامي وتاريخ الجزائر ولإسلام ،يقول الشيخ ابن باديس:"إني أعاهدكم على أنّني أقضي بياضي على العربية والإسلام،كما قضيت سوادي عليها،إنّها لواجبات...وإنّني سأقصّر حياتي على الإسلام

[1]-المجلس الأعلى للغة العربية_دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية و أثره في الهوية اللغوية—الجزائر منشورات المجلس-2016-ج2_ض130_131

[2] – آثار الإمام ابن باديس _مصدر سابق -ج4_147 .

والقرآن ولغة الإسلام والقرآن هذا عهدي لكم،وأطلب منكم شيئا واحدا وهو أن تموتوا على الإسلام والقرآن ولغة الإسلام والقرآن[1]."

"وكانت الجمعية تنادي بضرورة ترقية اللغة العربية لتكون لغة العلوم والفنون كلّها لأنها لا يتم استقلال أمة دون استقلال كامل عناصر هويتها مقومات شخصية وفي مقدمتها اللغة القومية "[2] ،فالشيخ ابن باديس يرى أن "اللغة العربية من اللغات الحية التي تقرن بالانجليزية والألمانية."[3]

كما يرى انه"لن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه،في مادته وصورته،فيما كان يعلم صلى الله عليه وسلم،وفي صورة تعليمه."[4]

فلو عدنا إلى القران الكريم وجدنا أول ما نزل على نبينا محمد عليه السلام"اقرأ باسم ربك الذي خلق(1)خلق الإنسان من علق(2)اقرأ وربك الأكرم(3)الذي علم بالقلم(4)علم الإنسان ما لم يعلم"[5]

ومن هذا المنطق اهتمت الجمعية اهتماما بالغا بالتعليم المسجد، إدراكا منها بأن"المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام...فكما كان لا مسجد بدون صلاة، و لا مسجد بدون تعليم".[6]..وعليه وضعت برامج واسعة لنشر التعليم الديني والعربي للصغار المبتدئين، وتكميل معلومات من درسوا باللسان الأجنبي، كما لم تحرم الكبار من دروس الوعظ والإرشاد ومحو الأمية،فشيدت لذلك المدارس وفتحت النوادي لإلقاء المحاضرات في التهذيب.

لم تحاول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فتح مدارس حرق في المدن الجزائرية بمبادرات مباشرة منها،بل كانت تسعى إلى ذلك عن طريق تكوين جمعيات إصلاحية محلية من أشخاص آمنوا بمبادئ

---

[1] _ آثار الإمام ابن باديس _مصدر سابق _ج6_ص366 .

[4] _د.عمارة حياة_أدب الصحافة من عهد التأسيس إلى عهد التعددية(أطروحة دكتوراه)_تلمسان-جامعة أبوبكر بلقايد للغات و الأدب-2013-2014- ص109

[3] _آثار الإمام ابن باديس _ج5- نقلاعن:المرجع نفسه ص109

نقلا عن: مصطفى محمد حميدحميداتو—عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية —الدوحة -وزارة [6] _آثار ابن باديس_ج4/ الشؤون الدينية -1997 —ط1-ص115.

[5] _سورة العلق_ الآية(1_5) .

[6] _آثار ابن باديس_ج4_مصدر السابق_ص34

الجمعية،ويتكونون في الكثير من الأحيان من مختلف الطبقات الاجتماعية،تتولى كل جمعية من الجمعيات التي تطلق على نفسها اسم جمعية الإصلاح أو جمعية التربية والتعليم فتح مدرسة حرة،وغالبا ماتسمّى المدرسة باسم الجمعية المحلية التي ترعاها[1]"

أما عن دور الجمعيةِ فشمل اختيار المعلمين والإشراف على سلوكهم ونشاطهم،كما يشمل الإشراف الفني على المدارس كاختبار البرامج التعليمة،وتأمين الكتب اللازمة للتلاميذ والتفتيش التربوي ،والمراقبة الدورية ،وكثيرا ماكانت الجمعية تحتضن المدرسة في حال تضعضع الجمعية المحلية فتؤمن كل متطلباتها الضرورية[2].

أمّا فيما يخص كيفيّة التعليم يشرحها الشيخ البشير الإبراهيمي قائلا:"كانت الطّريقة الّتي اتفقنا عليها إلا نتوسع له في العلم،وإنما نربّيه على فكرة أنا وابن باديس في إجماعنا في المدينة في تربية النشىء،هي صحيحة،ولو مع علم قليل فتمّت لنا هذه التجربة في الج يش الّذي أعددناه من تلامذتنا."[3]ويضيف:"لقد اعتبرنا أنّ أبنائنا في الحياة قسمان:حياة علميّة وإن الثّانية منهما تبني على الأولى قوّة وضعفا وإنتاجا وعقما،وإنكم لن تكونوا أقوياء في العمل إلا إذا كنتم أقوياء في العلم،ولا كله،إنّ العلم لا يعطي القيادة إلّا لمن تكونون أقوياء في العلم،إلّا إذا انقطعتم له، ووقفتم عليه الوقت مهره السهاد ،وصرف إليه أعنى الاجتهاد،انتم اليوم جنود العلم،فاستعدوا لتكونوا إذا جنود العمل،فإنّ العزائم،سديد الآراء متين العلم،متماسك الوطن يرجو إلى أن يبني بكم جبل قويّ الأسر،شديد الأجزاء،يدفع عن هذه الفوضى السّائدة في الآراء،وهذا الفتور البادي على الأعمال ،وهذا الخمول المخيم على الأفكار"[4].

[1]-الخطيب أحمد-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر-الجزائر-الوؤسسة الوطنية للكتاب- 1985- ص199.

[2]_تركي رابح_ التعليم القومي والشخصية الوطنية _الجزائر_الشركة الوطنية للنشر والتوزيع_1975-ص209.

[3]-مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة _ سنة1966م- ع21_ص143.

[4]_ البصائر _العدد9_بتاريخ03أكتوبر1947_ص3 .

فقد حرص ابن باديس على الكيف أكثر من حرص على الكم،فهو يعطي الأولويّة للفهم وإعمال الذّهن وتشغيل الخيال،أكثر من شحن الذّاكرة،كما انّه قد تأثّر إلى حدّ كبير بالطّريقة الأندلسية في التّدريس وإصلاح التعليم.

أمّا بالنّسبة لمحتوى المنهج فيوضّحه ابن باديس بقوله:"تشمل الدّروس علم التّفسير للكتاب الحكيم وتجويده،وعلى الحديث الشّريف،وعلى الفقه في المختصر وغيره،وعلى العقائد الدّينية،وعلى الآداب والأخلاق الإسلاميّة وعلى العربيّة بفنونها كالمنطق والحساب وغيرهما[1]".

ولا حظ ابن باديس أن المناهج والبرامج المتبعة في زمانه، ليست في حالة اعتدال سواء في صورتها،أو مادّتها ،لإهمالها كثيرا من المبادئ الخالدة الّتي جاء بها الإسلام،إضافة إلى ذلك قام بعقد المؤتمر سنة 1937 لكافة المتعلّمين في مدارس الجمعيّة حول منهجيّة التّعليم والتّربية ولدراسة الوسائل والأساليب والكتب والعلم في المساجد."وقد أرشد ابن باديس إلى الاستفادة من خبرات المعلّمين والأخذ بآرائهم في ما يهمّ التّعليم ومدارسه ونظامه وأساليبه،بغية التوصل إلى توحيد مناهج التّعليم وترشيده[2]".فهو لم يحدّد سنّا معلومة لالتحاق الطّلبة بالمدارس،فكان من بين معلميه حتى ناهز أعمارهم الثّلاثين سنة[3].

ولم يقتصر دور جمعية العلماء التّربوي والتّعليمي داخل الوطن فحسب،بل رافق أبناء الجزائر اللّذين هاجروا إلى فرنسا حيث يشكّلون جالية كبيرة فقد تنبّهت الجمعيّة إلى الأخطار المحدّقة بأولئك المهاجرين المعرّضين لخطر الذّوبان في الحضارة الأوروبية،والابتعاد عن أصول دينهم،فأرسلت إليهم المعلّمين والوعّاظ والمرشدين ،وأسّست النّوادي والمدارس لتعليم أبنائهم.وبناءا على هذا تمكّنت الجمعيّة من توفير درجة تعليميّة معنيّة عن طريق إنشائها لمدارس التّعليم العربي الحرّ والّتي تميّزت في أساسها بكونها مدارس ابتدائية صغيرة لا تتعدّى قسما واحدا أو قسمين.لكن بالرّغم من هذه

---

[1]-آثار ابن باديس _الصراط السوي_ ا نقلا عن :مصطفى محمد حميداتوا_عبد الحميد بن باديس وجهوده التربية- مرجع سابق -ص 120 .

[2]_ آثار ابن باديس_مصدر سابق-ج4_ص121 .

[2]_ جريدة الشعب الجزائرية_ملحق خاص بذكرى الإمام ابن باديس -نقلا عن: مصطفى حميداتو_عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية- مرجع سابق- ص160 .

البساطة التّي تميّزت بها هذه المدارس الإصلاحيّة إلا أنها تمكّنت من تحقيق نتائج إيجابيّة بارتفاع عدد الطّلبة الحائزين فيها على الشهادات باللّغة العربيّة مستوى ابتدائي،لذلك فقد اضطرت الجمعيّة غلى إنشاء المعهد الإسلامي الّذي كان يحتضن المتخرّجين من السّنة الخامسة الابتدائية ومن ماثلهم من ذوي الجهود الخاصّة،أما عن وظيفة هذا المعهد فتتمثّل في تقويّة الطّلبة الجزائريّين علما وعملا،وفي القرآن حفظا وفهما وترويض ألسنتهم على القراءة والخطابة وأفلامهم عن الإنشاء والكتابة [1] .ومن هنا يمكن القول أنّ جمعيّة العلماء تمكّنت من تحقيق أهدافها وتمكّنت من تحقيق الإصلاح والتّغيير الّذي كانت تطمح إليه رغم الصّعوبات الكثيرة الّتي لقبتها في طريقها،إذ تمكّنت من إنشاء مائة وخمسين مدرسة ابتدائية تضم خمسين ألفا من بنين وبنات،كما تمكّنت من إنشاء معهد ثانوي يضمّ ألفا وثلاثمائة تلميذا يدرسون علوم اللّغة والدّين والتّاريخ الإسلامي وغيرها من العلوم.

ومن أعمال الجمعية مشروع محو الأمّية الذّي أنقذت به نحو سبعمائة تلميذ، ولها في الشّرق العربي عدد كبير من الطّلبة المبعوثين للتّعليم العالي فاق عددهم ستّين طالبا موزّعين على مختلف الدّول العربيّة.ولم تتوقّف أعمالها عند هذا الحدّ بل تعدّته بمشاريعها إلى خارج الوطن العربي إلى فرنسا،حيث تمكّنت من إنشاء مكتب إسلامي مزوّد بمعلّمين يتكلّفون بالعمّال المسلمين الجزائريّين ليحفظوا دينهم وعقيدتهم ووطنيّتهم، كما استطاعت الجمعيّة أن تنشئ نحو سبعين مسجدا في المدن والقرن الجزائريّة وعمرتها بالأئمّة الصّالحين والمدرّسين النّافعين[2].

[1] _محمد البشير الابراهيمي- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي_ مصدر سابق -ص255 .

[2] -الابراهيمي محمد البشير –آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي-مصدر سابق-ج4-ص120.

الفصل الأول

الإصلاح عند البشير الإبراهيمي

لقد كان الشيخ البشير الإبراهيمي حلقة من حلقات الجهاد الطويل في الجزائر بحيث، بدأ جهاده في الدفاع عن اللغة العربية وترقيتها و الإسهام في أدبها منذ أن بدأت الجمعية رسالتها في السنة الأولى بالدعوة و الإصلاح وبناء المدارس و المساجد ،كما أنه أحد الذين شكلوا وعى ووجـــدان الأمة العربية والإسلامية على امتداد أقطارها [1]،حيث كان أحد رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر و أحد مؤسسي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"،و كان زميلا للشيخ عبد الحميد ابن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية ،ونائبه في رئاسة جمعية العلماء ،ورفيق نضاله لتحرير عقل المسلم من البدع الخرافات .ويلخص الهادي الحسني عهدة الإبراهيمي بقوله:"أن الإمام الإبراهيمي في رئاسته للجمعية أكمل الموجود ،و أوجد المفقود ،وكان خير خلف لخير سلف ".[2]

عاد الإبراهيمي إلى الجزائر نهاية 1920 بعد رحلاته العلمية والتعليمية الطويلة "يحمل راية العلم ومشعل المعرفة،وقد امتلأ فكره ،وقلبه بالنهضة العلمية و الأدبية و الاجتماعية و السياسية للجزائر وقد آمن بالإصلاح و الجهاد حلين وحيدين ومخرجين رئيسين لا ثالث لهما ،فرجوع الإبراهيمي إلى الجزائر بهذا السلاح المنيع يترتب عليه إحياء للدين و العروبة ،وقمع للبدع و الضلال و إنكاء للاستعمار الفرنسي".[3]

فحال عودته زار صديقه ابن باديس ،فاطلع على ما قام به من مجهود في التعليم ونشر الوعي وتربية الشباب –كما كان متفق عليه في أول لقاء جمع بينهما في المدينة المنورة–فاستقر في ذهن الإبراهيمي أن هذه الخطوة المسدّدة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس لنهضة عربية في الجزائر فقد رأى

[1]–عبد الغفور شريف – موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائرين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر(1954–1956)دراسة وصفية–مذكرة الماجستير–جامعة الجزائر كلية العلوم السياسية و الإعلام -2011/2010–ص105.

[2]–محمد الهادي الحسني–مجلة الموافقات–جامعة الجزائر–كلية العلوم الإسلامية–الجزائر–1996–العدد4–ص603.

[3]– ينظر :محمد البشير الإبراهيمي –أنا–نقلاعن:محمد عباس–البشير الإبراهيمي أديبا–مرجع سابق–ص40

كما قال :"شبابا ممن تخرجوا على يد هذا الرجل وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة فصيحة وتركيب عربي حر،ومعان بليغة ،وموضوعات منتزعة من صميم حياة الأمة"[1].

وواصل الرفيقان جهادهما إلى أن اختمرت الفكرة وأسست الجمعية كما ذكرنا سابقا سنة 1913 ومنها كانت المبادئ و كان الجهاد و كان المستقبل .

كان من التدبير المحكم عند ابن باديس و أصحابه في هذه الفترة أن تتوسع جبهات النضال لتشمل القطر الجزائري كله ،ويتوزّع علماء الجمعية الكبار على مقاطعات ثلاث ليتولى كل عالم منهم سير الحركة الإصلاحية و العلمية عن كتب ،وليذلل الصعاب و العقاب في المكان نفسه ،فأذنوا لابن باديس بالبقاء في مدينة قسنطينة ،و للشيخ الطيب العقبي في الجزائر ، و للشيخ الإبراهيمي في مدينة وهران فاتخذ مدينة تلمسان مقرا له .لأنّ هذه المناطق الثلاث هي التي تمركز فيها ثقل الاستعمار وظهر فيها تأثيره البليغ جليا ،فقد أسّست سلطات الاحتلال الفرنسي مدارس ثلاثا في تلمسان و الجزائر وقسنطينة[2].

يقول البشير الإبراهيمي :"وخصصوني بمقاطعة وهران وعاصمتها العلمية القديمة تلمسان،وكانت هي إحدى العواصم العلمية التاريخية التي أخنى عليها الدهر،فانتقلت إليها بأهلي، وأحيت بها رسوم العلم ونظمت دروسا للتلامذة الوافدين على حسب درجاتهم،وما لبثت إلاّ قليلا حتى أنشأت فيها دار الحديث، وتبارى كرام التلمسانيين في البذل لها حتى برزت للوجود تحفة فنية من الطراز الأندلسي"[3].قد استطاع الإبراهيمي بضواحي هذه المدينة التاريخية إحياء اللغة العربية بين صفوف الناشئة وبثها في نفوسهم، ماجعلهم يتسابقون إلى صفوف العلم رغبة منهم في اغتراف ولو قطرة من بحرها الواسع على أيد هذا المنبع –الإبراهيمي–الذي لانهاية له .

[1]– ينظر :محمد البشير الإبراهيمي –أنا–نقلا عن:محمد عباس–البشير الإبراهيمي أديبا–مرجع سابق–ص40

[2]– عبد المالك مرتاض–الصراع بين العربية و الفرنسية في الجزائر قبل الثورة–نقلا عن:محمد عباس – البشير الإبراهيمي أديبا– مرجع سابق–ص47.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي–آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي –مصدر سابق–ص281.

المبحث الأول :البشير الإبراهيمي و الإصلاح:

أولا:عمله في الجمعية بعد توليه الرئاسة :

يعد عهد البشير الإبراهيمي بمثابة المرحلة الثانية في نشاط الجمعية التي شهدت تطورات هامّة في هذه الفترة بالرغم من تجميد نشاطها مثل سائر الأحزاب الجزائرية نتيجة الحرب العالمية الثانية ،بحيث أن البعض ظن أنها قد تتراجع فاعليتها على مستوى الساحة الوطنية إلاّ أنها قد قويت شوكتها وازدادت انتشارا بعد تولي الشيخ البشير الإبراهيمي رئاستها ،غير أن الحركة الإصلاحية بقيت بلا زعيم حتى سنة 1943م لكون الرئيس الجديد الذي اختير لرئاسة الجمعية لم يباشر قيادتها بسبب وجوده تحت الإقامة الجبرية .

فرغم ما أحدثته وفاة الشيخ عبد الحميد ابن باديس من يأس عميق في نفوس المصلحين ،فإن خطة الجمعية و الأفكار التي كانت موجودة لم تتغير بفضل قادتها،خاصة الشيخ البشير الإبراهيمي الذي خلف ابن باديس في قيادة الجمعية ،رغم أنه كان تحت المراقبة منذ أفريل 1940م بآفلو[1].

بحيث تعددت الأسباب التي عرّضت الإبراهيمي إلى عملية النفي غير أن السبب المباشر كان امتناعه "عن التحدث في الإذاعة الجزائرية بهدف حث الجزائريين على الوقوف بإخلاص إلى جانب فرنسا في حربها ضد دول المحور"[2] .

تعرض الشيخ إلى عدة مضايقات من قبل السلطات الفرنسية ولما فشلت في ذلك سعت إلى إغرائه بمنصب الإسلام ،غير أنه تبث على الحق فكلفه ذلك النفي إلى الصحراء،يقول الشيخ البشير الإبراهيمي في هذا الشأن :"ولما ضاقت فرنسا ذرعا بأعمالي ونفذ صبرها على التحديات الصارخة لها وأيقنت أن عاقبة سكوتها عنّا هو زوال نفوذها وخاتمة استعمارها،اغتنمت فرصة نشوب الحرب العالمية الثانية،وأصدر رئيس وزرائها اذذاك دلايي(Daladier)قرار يقضي بإبعادي إلى الصحراء الوهرانية إبعادا

[1]-بو الصفصاف عبد الكريم-جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية-الجزائر-دار البعث-1981-ص304.

[2]- المرجع نفسه-ص212.

عسكريا لا هوادة فيه،لأن في بقائي طليقا حرا خطرا على الدولة ،كما هي عباراته في حيثيات القرار، ووكل تنفيذ قراره للسلطة العسكرية فنقلوني للمنفى في عاشر أفريل 1940،وبعد استقراري في المنفى بأسبوع تلقيت الخبر بموت الشيخ عبد الحميد بن باديس-رحمه الله-بداره في قسنطينة بسرطان في الأمعاء "[1].

فحاول العلماء بعد وفاة زعيمهم جمع شمل المنظمة وملء الفراغ الذي تركه ابن باديس بحيث"اجتمع خمسة أعضاء بارزين من المجلس الإداري لجمعية العلماء بقسنطينة يوم 07 نوفمبر1940 ، واتفقوا على ضرورة إيجاد حل نهائي لمشكل خلافة ابن باديس وتقرير إسناد منبر الجامع الأخضر للشيخ الإبراهيمي بعد إطلاق سراحه،وبالنسبة لطلاب الجامعة في قسنطينة فقد اتخذ في شأنهم قرار مبدئي نص على نقلهم إلى تبسة ليتولّ الشيخ العربي التبسي تدريسهم والإشراف على شؤونهم "[2].

"فبو الصفصاف"يرى أن هذه الخلافة في الواقع كانت اعتبارية ولم تكن إدارة فعلية وذلك عل أساس أنه النائب الأول في المجلس الإداري و الشخصية الثانية في الجمعية و أنّه كان محل الثّقة من طرف زملائه العلماء[3]،هذا ما جعله يتولى رئاستها يسير على درب الإصلاح و التغيير متبعا إستراتيجيته الخاصة بالرغم من وجوده في المنفى ،فذلك لم يحبط من عزيمته،يصرح في هذا الشأن :"أنّ التّغريب ثلاث سنوات لم يكن لكسر شوكتي ،وأنّني عدت من المنفى أمضى لسانا وقلبا وعزيمة ممّا كنت ،وأنّ الحركة التي أقودها لم تزدد إلاّ اتّساعا ورسوخا"[4].

وبعد إطلاق سراحها مباشرة من المنفى الّذي دام ثلاث سنوات أول ما افتتح به أعماله تنشيط حركة إنشاء المدارس ،بحيث قام بإنشاء ثلاثا وسبعين مدرسة في سنة واحدة وقام بإلقاء الدروس العلمية للطلبة و العامّة ،يقول الشيخ البشير الإبراهيمي في هذا الشأن :"وتهافتت الأمة على بذل الأموال

[1]-محمد البشير الإبراهيمي –آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي-مصدر سابق-ج5-ص279.

[2]- بو الصفصاف عبد الكريم-جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية-مرجع سابق-ص305.

[3]- المرجع نفسه -305

[4]- محمد البشير الإبراهيمي –آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي-مصدر سابق-ج5-215.

لتشييد المدارس حتى أربت على الأربعمائة مدرسة،ولم أتخلّ بعد رئاستي للجمعية و خروجي من المنفى عن دروسي العلمية للطلبة و للعامة."[1]

ولما رأت سلطات الاحتلال ذلك الأثر قامت باعتقاله مرة ثانية سنة 1945 بتهمة التدبير للثورة فلبث في السجن حوالي سنة ،ثم أخرجوه بدعوى صدور العفو،يقول البشير الإبراهيمي :"ولما خرجت من السجن عدت إلى أعمالي أقوى عزيمة ممّا كنت ،و أصلب عودا وأقوى عنادا ،وعادت المدارس التي عطلتها الحكومة زمن الحرب ، وأحييت جميع الاجتماعات التي كانت معطلة بسبب الحرب ومنها الاجتماع السنوي العام ،وأحييت جريدة البصائر التي عطلنها من أول الحرب باختيارنا باتفاق بيني وبين ابن باديس لحكمة ...ولما قررنا إحياء جريدة "البصائر" ألزمني إخواني أن أتولّى إدارتها ورئاسة تحريرها فقبلت مكرها ،وتضاعفت المسؤوليات، وثقلت الأعباء، فرئاسة الجمعية وما تستلزم من رحلات وما يتبع الرحلات من دروس ومحاضرات ، كل ذلك كان يستنزف جهدي،إذا زادت عليها أعباء الجريدة وتحريرها ؟ ولكن عون الله إذا صاحب أمرا خفّت عليه الأثقال"[2].

فقد أدّى الشيخ الإبراهيمي عمله على أكمل وجه بحيث قدّم عدّة تضحيات من أجل استمرار نشاط الجمعية كما نجده يقول :"كنت أقوم للجمعية بكل واجباتها ،وأقوم للجريدة بكل شيء حتى تصحيح النماذج ، وأكتب الافتتاحيات بقلمي ، وقد تمر الليالي ذوات العدد من غير أن أطعم النوم و قد أقطع الألف ميل بالسيارة في الليلة الواحدة ،وما من مدرسة تفتح إلاّ و أحضر افتتاحها وأخطب فيها ،وما من عداوة تقع بين قبيلتين أو بين فردين إلاّ وأحضر بنفسي و أبرم الصلح بينهما،وأرغم الاستعمار الّذي همه بث الفتن ،وإغراء العداوة والبغضاء بين الناس،فكنت معطلا لتدبيراته في جميع الميادين." [3]واستمرت الجمعية بقيادة البشير الإبراهيمي فكثرت المدارس حتى زادت على الأربعمائة وتوافد عليها الطلاّب من بنين وبنات حتى زادوا على المائة ألف ،فما قام به الشيخ

[1]- محمد البشير الإبراهيمي –آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي-مصدر سابق-ج5-ص215.

[2]-أحمد طالب الإبراهيمي –آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي –مصدر سابق –ج5-ص285.

[3]- المصدر نفسه-ص286.

البشير الإبراهيمي أثناء رئاسته للجمعية ،كان عملا نبيلا وجبارا ،يهدف إلى إصلاح شامل مسّ جميع النواحي،"وقد يتعذر على الدارس أن يلمّ بتفاصيل عظيم الأعمال التي قام بها الإبراهيمي ،منذ نشأة هذه الجمعية إلى لحظة توقفها المثمر ،فهي أعمال تتوزعها جوانب متعددة بين إصلاح اجتماعي وتربية للأجيال،وبين ثورة على المستعمر واسترجاع للهوية الجزائرية ،وتثبيت للشخصية العربية الإسلامية وإيقاظ للوعي الإنساني عامة "[1] .

المبحث الثاني:ميادين الإصلاح عند الإبراهيمي:

1-الميدان الديني:

نظرا للأهمية القصوى التي تمثلها العقيدة في حياة الأفراد اتخذتها جمعية العلماء المسلمين كانطلاقة لمشروعها الإصلاحي وارتكزت معظم أعمالها عليها لتحقّق بها الإصلاح الفعّال ولم يكن هذا المنهج الذي اتبعته في إحلالها العقيدة مكان الصدارة في التجديد الديني اجتهادا خاصا بها بقدر ما هو امتداد لمنهج الأنبياء الكرام في تقرير العقائد وإثبات حقيقة التوحيد في نفوس الناس وتحريرهم من ظلمات العبودية لغير الله .

عمل الإبراهيمي على تخليص الشعب الجزائري من الأفكار و التصورات الخاطئة التي تدفعه إلى الركود و الانحراف بالاعتماد على العقيدة الصحيحة المبنية على كتاب الله ،وصحيح السنة ،وإجماع السلف الصالح،لأن حاضر الأمة ومستقبلها إذا لم يبن على جذور متينة من الماضي لن يثمر،وفي هذا الشأن يقول الشيخ البشير الإبراهيمي :"لو أنّ فقهائنا أخذوا الفقه من القرآن ،ومن السنة القولية و الفعلية ومن عمل السلف أومن كتب العلماء المستقلين ،المستذلين التي تقرن المسائل بأدلتها ونبني حكم الشارع منها لكان فقههم أكمل ،وآثاره الحسنة في نفوسهم أظهر ،ولكانت سلطتهم على المستفتين في العامّة أمتن وأنفذ ،ويدهم في تربيتهم وترويضهم على الاستقامة في الدّين أعلى " [2].ومن خلال هذه الأصول الثلاث سعت الجمعية إلى محاربة الخرافات و الأباطيل التي كانت تعجّ بها العقيدة

1- لقاء مع المؤرخ الجزائري-أحمد توفيق المدني-نقلا عن:محمد عباس –البشير الإبراهيمي أديبا-مرجع سابق ص40.

2-عيون البصائر- مصدر سابق –ص229.

الإسلامية في المجتمع الجزائري .يقول البشير الإبراهيمي :"فالواجب إذن أن نبدأ بمحاربة تلك البدع و الخرافات بطرق حكيمة تقرب من أذواق الناس ،فإذا ماتت البدع و الخرافات وصفت الفطر من ذلك الشوب سهل تلقين العقيدة الصّحيحة وتلقّتها النفوس بالقبول "[1].

على هذا الأساس قامت الجمعية بتصحيح مفاهيم كثيرة للجزائريين في العقيدة الإسلامية و الرّجوع بهم إلى الأصول الأولى للدين الإسلامي المتمثلة في الكتاب و السنة،وقد حارب الإبراهيمي الانحرافات و البدع التي تفشت في المجتمع الجزائري وأبطلها كما نجده قد انطلق في أعماله الإصلاحية إلى محاربة الاستعمار الثاني الذي "يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب و المتغلغلون في جميع أوساطهم ،و المتجرون باسم الدين والمتعاونون مع الاستعمار عن رضا وطواعية"[2].فهذه الخطوات التي خطاها الإبراهيمي في بداية عمله الإصلاحي إن دلّت على شيء إنّما تدل على مدى ارتباطه بالواقع الاجتماعي للجزائر،فالواقع بالنسبة له يعدّ موجّها أساسيا في برنامجه الإصلاحي ،وهو يعدّ العقائد السليمة قاعدة أساسية يستند عليها في عمله منها جاء تصريحه بنيته في محاربة الطرق و ضلالتهم،لأنه كان يرى أنّكل ما جاءت به الطرق من مستحدثات إنّما هو بدعة في الإسلام،يقول في ذلك :"ونعلم أنّنا حين نقاومها نقاوم كل شرّ و أنّنا حين نقضي عليها —إن شاء الله —نقضي على كلّ باطل ومنكر و ضلال،ونعلم زيادة على ذلك أنّه لا يتم في الأمّة الجزائرية إصلاح في أي فرع من فروع الحياة مع وجود هذه الطريقة المشئومة ومع مالها من سلطان على الأرواح و الأبدان ومع ما فيها من إفساد للعقول وقتل للمواهب"[3] .لذلك ارتأى الإبراهيمي أنّ الحل الوحيد الذي يمكن له أن يخرج هذه الأمة من الأزمة التي كانت تعيشها هو محاربتهم بآثارهم بحيث لا يمكن أن يحقق أي إصلاح إلاّ بالقضاء على خرافات هؤلاء المضلّلين.

1- محمد البشير الإبراهيمي-آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي —مصدر سابق-ص86.

2- الإبراهيمي محمد البشير-في قلب المعركة-الجزائر-دار الأمة-1994-ص220.

3- المرجع نفسه-ص220.

وقد أعادت الجمعية الاعتبار إلى كل الأصول الدينية بإعادة حكمها إلى أهله المختصين عن طريق العمل على تطبيق مبدأ فصل الدين على الدولة الفرنسية بمنعها من التدخل في أحكام الدين الإسلامي بأي طريق كان ، ليتحقق العدل بين الأديان فيكون للدين الإسلامي أهله مثله مثل بقية الديانات التي تحققت لها الحرية بفصلها عن الأمور السياسية.

وإدراكا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأنّه لا يمكن المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية طال أنّ مساجد المسلمين وأوقافهم تستغلّها الحكومة الفرنسية ،احتلّت هذه القضية الصدارة ضمن قانون فصل الدين عن الدولة إضافة إلى مجموعة من المطالب تحدّدت فيما يلي:

*تحرير المساجد برفع يد الحكومة عنها .

*تحرير الأوقاف الإسلامية بإرجاعها إلى المسلمين .

*تحرير رجال الدين الإسلامي برفع جميع القيود عنه .

*تحرير القضاء الإسلامي برفع جميع القيود عنه .

*تحرير الحج بعدم تدخل الحكومة في أي شأن من شؤونه .

*تحرير الصوم بإبعاد الحكومة عن شؤونه[1] .

ولقد كان تركيز الجمعية على هذه العناصر الدينية بالخصوص لكونها تعتبر المكونات الأساسية للدين الإسلامي ،التي وجدت فيها الحكومة الفرنسة غايتها واتّخذتها كمداخل لتشويه الإسلام من خلال التدخل في الإحكام الخاصة بها،وإنّ سرّ هذا التسلط على الإسلام والإصرار على التمسك به "ليس من حيث أنه دين يجب أن تحافظ علية و على معابده و شعائره ولكن ذلك لغاية أخرى غير المحافظة وهي أنّها تعدّ التسلط على الأديان تكميلا لما لا يتم المعنى إلاّ بدونه،فلمّا استعبدت أبدان المسلمين مدّت يدها إلى دينهم وأبت عليهم أن يكونوا أحرارا فيه ليتم لها التسلط على الجانبين الروحي و المادي"[2].

1- عيون البصائر –مصدر سابق-ص46.

2-المصدر نفسه –ص107.

لهذا فقد تمثلت دعوة الجمعية في السعي نحو تحرير الإسلام من يد الحومة الاستعمارية وكفّ يدها عنه من خلال تحقيق العدل بين الأديان وتطبيق قانون الفصل على الدين الإسلامي ،كما طبق على الديانات الأخرى ويظهر هذا بوضوح في قول البشير الإبراهيمي :"إنّا الأديان في ثلاثة ،من الواجب أن تعامل معاملة واحدة ،وإن المسلمين ومعابدهم أكثر عددا ،من الإنصاف أن يكونوا هم القاعدة في المعاملة و الأصل في وضع الأحكام وما دام دينهم (مستعمر) فمن العدل أن يكون الدينان مستعمران أيضا " [1]،ورغم الرفض الذي لقيته مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري * من قبل الحكومة الفرنسية ،إلاّ أن هذا لم يقف نضالها من أجل الحصول على استقلال الدين الإسلامي عن الإدارة الفرنسية ،حيث قدّمت الجمعية في 5 أوت 1944 تقريرا إلى الحكومة الجزائرية وضعت فيه قضيت فصل الدّين عن الدولة في رأس مقاصدها الثلاث:

*-المساجد و موظفوها وأوقافهم .

*-التعليم ومدارسه ومعلّموه.

*-القضاء الإسلامي وتعليمه ورجاله [2].

2- الميدان الاجتماعي:

منذ أن وطئت أقدام المحتل الفرنسي الأراضي الجزائرية عانت الجزائر الجهل و الجمود و التخلف،بحيث جلب معه العادات و الآفات السيئة باختلافها بما يفضي إلى الفوضى و الفلتان الذي يكون المناخ المناسب لشيوع الرذائل وانتشار الجرائم و الفساد وما إلى ذلك ،و أمام هذا الوضع الاجتماعي المتدهور أولى الشيخ البشير الإبراهيمي اهتماما كبيرا للقضايا الاجتماعية الخاصة بالجزائر و المجتمع الإسلامي على وجه العموم ، ومن ذلك مثلا تناوله لمشكلات الحياة الزوجية كالزواج و الطلاق....

[1]- عيون البصائر-مصدر سابق-ص59.

*- المؤتمر الإسلامي الجزائري:انعقد في العاصمة في شهر جوان 1936

2- الخطيب أحمد –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر- مرجع سابق-ص173.

وموقف الإبراهيمي اتجاه القضايا الاجتماعية كان نابعا من اهتمامه بالمسائل المرتبطة بالمجتمع الإنساني ذلك الاهتمام النّابع من اهتمام الفكر الإسلامي به،لأن "الإصلاح الاجتماعي هو الغرض الأسمى للإسلام "[1].من هذا المنطلق فإن العلاقة بين الإصلاح الديني و الإصلاح الاجتماعي هي علاقة تلازم ،فلا يتم الأول إلاّ بوجود الثاني ،وهذا ما يعبر عنه البشر الإبراهيمي إذ يقول :"إن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي ،ولهذا الارتباط بين القسمين فإن جمعية العلماء–وهي الجمعية الرّشيدة العالمة الإسلامية–عملت مند تكوينها في الإصلاحيين المتلازمين"[2].فالإبراهيمي يرسم للمسلم الطّريق السّوي لبناء مجتمع سليم قوامه الدين ودعائمه الوحدة و التماسك ،لذا نجده يدعو إلى الوحدة الاجتماعية في ظلّ وحدة دينية "[3].

فالإصلاح الاجتماعي يستقيم ولا تقوم له قائمة إلاّ إذا كان يدور في فلك الإصلاح الديني "ومردّ هذا أنّ الدّين الإسلامي هو المرجع الأول في هندسة حياة الإنسان في كلّ جوانبها ،وفي تحديد مصيره وهو بذلك يحدّد مصير هذا الإنسان ويهيّئه إلى تحمّل مسؤوليته أمام الله ، وأمام نفسه و أمام العباد . ولذلك لم يفت الإبراهيمي في بعده الاجتماعي أن يراقب بكل حذر أسباب الاتصال بينه وبين الجماهير وما تتلقّاه هذه الجماهير من معطيات في التكوين الاجتماعي "[4].

ومن أهم المشاكل الاجتماعية التي تناولها وقام بمعالجتها مشكل الزواج حيث صار أكثر الشباب يعرضون عنه إلى سن متأخر من العمر فيحدث بسبب ذلك فساد في الأخلاق و الأعراض و الأموال فهو يرى أنّ "أعضل المشاكل ،وأعقمها أثرا في حياة الأمّة ،وأبعدها تأثيرا في تكوينها ،مشكلة الزواج بالنسبة إلى الشبان ،فالواقع المشهود أنّ الكثير من شبابنا –وهم أملنا وورثة خصائصنا– يعرضون عن

---

[1]– محمد الطاهر بن عاشور–أصول النظام الاجتماعي في الإسلام–الجزائر–المؤسسة الوطنية للكتاب –1985–ط2–ص103

2–محمد البشير الإبراهيمي–آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي –مصدر سابق –ج1–ص215.

3– محمد عباس–البشير الإبراهيمي أديبا– مرجع سابق ص87.

4– المرجع نفسه –ص88 –نقلا عن :عمارة حياة –أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التّأسيس إلى عهد التعددية– أطروحة دكتوراه–مرجع سابق –ص144.

الزواج إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الثلاثين فما فوق ،ويترتب على ذلك أنّ الكثيرات من شوابنا يتعطّلن عن الزواج إلى تلك السن "[1].

فبعدما استعرض الإبراهيمي أهمية الزّواج عمل على إزالة الأسباب التي أدّت إلى هذه الظاهرة ،وهي في الغالب تعود إلى العوائد ،والتقاليد الفاسدة التي بدّلت حكم الله تعالى ونسخت سنّة رسوله – صلى الله عليه و سلم– ومن تلك العوائد السيئة المغالاة في المهور يقول في هذا الشأن :"من أمراضنا الاجتماعية التي تنشر في أوساطنا الفساد و الفتنة ،وتعجل بها إلى الدّمار و الفناء –عادة– المغالاة في المهور"[2].إنّ هذه العادات و التقاليد الدخيلة أدّت بالمجتمع الجزائري إلى الابتعاد عن حدود الله ،بحيث جعلت من الزّواج شقاء بدل أن يكون رحمة وألفة يقول الإبراهيمي في ذلك :"ولو أنّنا وقفنا عند حدود الله ويسّرنا ما عسّرته العوائد من أمر الزّواج لما وقعنا في هذه المشكلة ،ولكنّنا عسّرنا اليسير وحكّمنا العوائد في مسألة خطيرة كهذه ،فأصبح الزّواج الذي جعله الله سكنا وألفة ورحمة سبيلا للقلق و البلاء و الشّقاء ..."[3]. فالإبراهيمي لا ينظر إلى مشكلة الزّواج بأنّها تلك العلاقة العدية التي تربط بين المرأة و الرجل كما هو في عرف النّاس ،وإنّما ينظر إليها من حيث أنّها السبب الأول في بذرة الوطنية و إقامة القومية ،وتدفع إلى الشعور بالكرامة و الإحساس بالمسؤولية [4]،يقول :"أيّها الشبان ! إنكم لا تخدمون وطنكم و أمتكم بأشرف من أن تتزوجوا ،فيصبح لكم غرض تدافعون عنه ،وزوجات تحامون عنهن ،وأولاد يوسّعون الآمال ،هناك تتدرّبون على المسئولية في الحياة ،ولمن تخدم الأوطان ؟إذا لم يكن ذلك لحماية من على ظهرها من أولاد وحرم ،ومن في بطنها من رفات ورمم"[5].

1- عيون البصائر –مصدر سابق–ص323.

2- عيون البصائر –مصدر سابق–ص359.

3- المصدر نفسه- ص325.

4- محمد عباس–البشير الإبراهيمي أديبا- مرجع سابق ص92.

5- عيون البصائر –مصدر سابق –ص327.

إنّ اهتمام البشير الإبراهيمي بالمشاكل الاجتماعية التي كان يعيشها الشعب الجزائري في تلك الحقبة الاستعمارية جعلته لا يتوقف عند حدّ تعريتها ،وإنّما عمل على إيجاد حلول ملائمة لها ،تلك كانت مهمّته التي جاهد من أجلها هو وأقرانه من العلماء و المصلحين .فهو يرى أنّ"الأمّة الجزائرية تعاني وجاراتها المتحدة معها في الدين و الجنس ،المقاربة لها في العادات و المصطلحات —عدّة مشاكل اجتماعية —لا يسع المصلحين إغفالها ،ولا السّكوت عليها بعد ظهور آثارها ،وتحقيق أضرارها ...فإن من بعض هذه المشاكل ما لو تمادى وامتدّ لأتى بنيان الأمّة من القواعد،وقضى عليها بالمسخ أولا و التلاشي أخيرا "[1].

وكان الإبراهيمي يروم تكوين مجتمع إسلامي مماثل لما كان عليه المجتمع الإسلامي في عهد السلف خصوصا لما لمسه من واقع اجتماعي في عهد الاحتلال الفرنسي الذي أضعف الدين في النّفوس ونشر الفساد في المجتمع ،وعمد إلى تجهيل الناس و خنق الأنفاس .يقول الشيخ البشير الإبراهيمي :"جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة تحمل الموت و أسباب الموت ،فوجد هذه المقومات راسخة الأصول ،نامية الفروع ،على نسبة من زمنها ،فتعهد في الظاهر باحترامها و المحافظة عليها ،وقطع قادته و أئمته العهود على أنفسهم وعلى دولتهم ليكونون الحامين للموجود المشهود من عقائد ومعابد وعوائد ،ولكنهم عملوا في الباطن على محوها بالتدريج ..."[2]

إنّ تلك الهمجية الاستعمارية التي عملت على تفكيك الرّوابط الاجتماعية وفقا لسياسة "فرّق تسد" أدّت إلى انتشار الآفات الاجتماعية في المجتمع الجزائري ،وضعف انسجام وتلاحم أفراده ،وكثرت المشاكل الأسرية ،وساءت أحوال الشباب الجزائري ، وتدهورت وضعية المرأة ،فعمّت الفوضى في المجتمع وكثر الانحلال الاجتماعي و الأخلاقي ،واستفحلت العادات و التقاليد البدعية في المجتمع ،ما جعل الإبراهيمي-بكل ما تيسر له من إمكانات— ينافح ويناضل من أجل إصلاح اجتماعي حقيقي حتّى يسمو المجتمع الجزائري إلى مصاف المجتمعات الراقية.

1- عيون البصائر —مصدر سابق —ص323.

2- عيون البصائر —مصدر سابق —ص21.

3-الميدان التعليمي :

تفشي الجهل في المجتمع الجزائري أثناء الحقبة الاستعمارية بسبب سياسة التجهيل التي انتهجتها منذ أن وطأت قدماها أرض الجزائر. وقد عمدت -لأجل تحقيق أهدافها —إلى طمس اللغة العربية و القضاء عليها كونها لغة الدين ،وإحدى مقوّمات الأمة الأساسية .وبلغ بها الأمر إلى حدّ سنّ قانون يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ،أمّا اللغة الرسمية فهي اللغة الفرنسية ،بها تتم المعاملات و الصفقات و التبادلات التجارية ،كما أضحت لغة التعليم الأولى لاسيما في المدارس التابعة للحكومة الفرنسية.

ما جعل الإبراهيمي يعمل على توسيع حدود التعليم في الجزائر ،وينادي بفتح أكثر عدد من المدارس الحرة*،بغية إعداد جيل يستطيع مجابهة المستعمر ويحافظ على أصالته ومعالم هويته .

ولقد تناول الإبراهيمي قضية التعليم لأنّه هو مادة الإصلاح وأصله،فاهتمّ بإصلاح التعليم داخل الوطن وخارجه ،مركزا في ذلك على تعليم اللغة العربية باعتبارها المدخل الذي لابدّ منه لتربية الأجيال .

فكان من أعماله السعي لإرسال بعثات من الطلبة المتخرجين منها لاستكمال تحصيلهم ،ولهذا يقول :"و جمعية العلماء تعتقد أنه لا يتم إصلاح التعليم في الداخل إلا إذا تم إصلاحه في الخارج ، فالتعليم في الخارج هو الذي يغذي التعليم الداخلي بالمعلمين ، ومحال أن ينال التعليم الداخلي خيرا خمن معلمين يتخرّجون من المقاهي . إن جمعية المعلمين مصممة على أن تحوط التعليم في الخارج برقابة تمدها على التلاميذ ونصائح تشتد فيها لينقطعو ا إلى العلم ، وليضعوا بين أعينهم الواجب الذي ينتظرهم في وطنهم و هو التعليم "[1].

وقد كان له غرضان من وراء إصلاحه للتعليم ودفاعه عن اللغة العربية :"أحدهما إقامة الدليل للمتعلمين باللغات الأجنبية على أنّ الفصحى لا تعيا بحمل المعاني مهما تنوعت وعلت وأنّها تبدّ

[1]- عيون البصائر —مرجع سابق -353

اللغات في ميدان التعبير عن الحقائق و الخيالات و الخواطر و التصورات " [1].أمّا الغرض الثاني :"أن أحدث في نفوس العامة المحبّين للعلم و الدين أسفا يقض مضاجعهم فيدعوهم إلى تدارك ما فاتهم منها في أبنائهم " [2]،فقد استطاع الإبراهيمي بأسلوبه هذا بعث الوعي الفكري و الثقافي في صفوف الناشئة ،وغرس فيهم روح الدفاع عن كرامتهم ،وتحريك هممهم .

كما يقر البشير الإبراهيمي بأن أساس التربية و التعلم إنّما هو الإيمان النابع من العقيدة الإسلامية و اللغة العربية،فالدين و اللغة ،بهما تتحقق الغاية الكلية من التعليم،لأن المتعلم في نهاية الأمر يكون ممثلا لمجتمعه ،ووطنه و تاريخه فهو إن لم يتزود بسلاح الدّين الإسلامي الذي شب عليه ،و باللغة العربية التي فطم عليها ، والتي عليها يجمع كل لسان عربي باسم الدين و الوطن الواحد فإن علمه لا يمثل إلاّ شخصه و لا يرتجى منه خيرا لوطنه ولمجتمعه ، لأن اللغة هي عربة الوعي الجمعي،وهي أصدق سجل يعبر عن التّاريخ ،وحضارة الأمة ومن ضيّع لغته ضيّع هويته.

جاء عن البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر قوله :"أمامكم اللغة وعلومها و آدابها،فابحثوا ونقّبوا واحدوا ركابها وسعوا البيان فضلها، سعيكم لتعليمها،وأشربوا قلوب أولاد هذه الأمة :أنّه ما غرّد بلبل بغير حنجرته"[3].فمن هنا أولى الإبراهيمي ورفاقه من رواد الجمعية أهمية كبيرة للتعليم عموما و التعليم باللغة العربة خصوصا فهو القائل في مقال له بعنوان "التعليم العربي":"اللغة العربية لغة الإسلام الرسمية ،ومن تمّ فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ولهذه اللغة على الأمّة الجزائرية حقان أكيدان ،كل منهما يقضي وجوب تعلّمها،فقد كادت الأمية و الجهل تستحوذ على عقول الشعب الجزائري ما جعل الإبراهيمي يلجأ إلى مختلف الطرق التعليمية لمعالجة هذا الداء الفتاك الذي أصاب كافة فئات المجتمع الكبار منهم والصغار،ومن أجل هذا المقصد اقترح على كبار السّن طريقتين لكي يتخلّصوا من الأمية:

1- محمد البشير الإبراهيمي –آثار محمد البشير الإبراهيمي – مصدر سابق-ج1-ص576.

2- المصدر نفسه –ص576.

3- محمد البشير الإبراهيمي-إلى كتاب البصائر –السنة الأولى –جانفي 1936- ع2-ص2.

"**أولا**: أن تتقدم لكل أعضائها العاملين وتأخذ عليهم عهد الله وميثاقه على أن يعلم كلّ واحد منهم أمّيا أو أكثر من أقاربه مبادئ الكتابة و القراءة و العمليات الأربعة في الحساب ويحفظه سورا من القرآن على صحتها .

ثانيا:تشكيل نواد مشكلة من أصحاب المهن،وكيفية العمل مع هؤلاء أن تلزمهم بدفع مبلغ معين من المال في كل شهر ثم تلزم طالبا من الطلبة أن يعلمهم مبادئ القراءة و الكتابة وأرقام الحساب وعملياته البسيطة في ساعتين من كل ليلة ،في مقابلة ذلك المبلغ الشهري الذي يجمعونه .

فإذا استطعنا أن نعمم هذا الترتيب على عشرة نواد وعشرين مجموعة من أصحاب الحرف فإننا نتوصل في مدة قريبة إلى تعليم نحو من ألفي رجل وإخراجهم من سجن الأمية ،و إلى إيجاد سبيل لمعيشة ثلاثين طالبا أو إعانتهم على المعيشة" [1].

وواصل الإبراهيمي إصلاحه التعليمي بتلمسان في دار الحديث بحيث يقول في هذا الشأن :"فكنت ألقى عشرة دروس في اليوم ،أبدئها بدرس في الحديث بعد صلاة الصبح ،وأختمها بدرس في التفسير بين المغرب و العشاء وبعد صلاة العتمة ثم أنصرف إلى أحد النوادي فألقي فيها محاضرة في التاريخ الإسلامي ،فألقيت في الحقبة الموالية لظهور الإسلام من العصر الجاهلي إلى مبدأ الخلافة العباسية بضع مئات من المحاضرات"[2]،وكان من البديهي أن يثير نشاط الإبراهيمي حفيظة الفرنسيين،كما أثار قلقهم ومخاوفهم ،فأسرعوا في إصدار عدّة قرارات بغية عرقلة نشاطه و إيقافهبشكل نهائي.

يقول البشير الإبراهيمي :"إنّها قرارات جائرة أنتجتها ظروف خالية من الرحمة ومن الكياسة، و أملتها أفكار خالية من الحكمة و السّداد ،وبواعث من الغرض و الهوى يؤيد ذلك كله وحي من شيطان الاستعمار المريد،فجاءت في مجموعها لا تستند على منطق ولا نظر سديد ،وإنما تستند على القوة

[1]- محمد البشير الإبراهيمي –آثار محمد البشير الإبراهيمي – مصدر سابق-ج1-ص203.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي-أنا –مصدر سابق –ص146.

أوّلا وعلى الحيلة ثانيا ،وعلى العنصرية البغيضة ثالثا" [1]. ومن بين هذه القرارات الجائرة كان قرار شوطان* بحيث جاء فيه مرسوم يصرح أن العربية لغة أجنبية في الجزائر كما تمّ إغلاق المدارس العربية الحرّة التي لا تتمتع برخصة عمل ،ومنع مزاولة التعليم إلاّ بعد الحصول على رخصة تعليم من السلطات المسئولة ،إن هذا القرار لم يكن حبر على ورق بل كان قيد التنفيذ بحيث أنّه تم إغلاق عدّة مدارس ومن بين هذه المدارس مدرسة دار الحديث التي كان يديرها الشيخ البشير الإبراهيمي .

يقول "بو الصفصاف"في هذا الشأن :"يوم 08مارس1938 قامت الحكومة الفرنسية بإصدار قرار مشئوم يقضي بتضييق دائرة التعليم العربي الحر ومنع العلماء من التدريس إلاّ برخصة من الإدارة الاستعمارية في الجزائر وهي الرخصة التي ترفض السلطات منحها للمعلمين التابعين لجمعية العلماء "[2] ولم يوجّه الاستعمار ضرباته إلى المدارس و المعلّمين وحسب بل ،تعداهم إلى الأهالي الذين يرسلون أولادهم إلى مدارس الجمعية ،يمارس عليهم ضغوطه ،حتّى أنّه منع التعويضات العائلية عن العمال الذين يتعلم أولادهم في مدارس الجمعية" [3].وبعد أن استعادت جمعية العلماء بعضا من حرّية التصرف في أعقاب الحرب العالمية الثانية وبعد الإفراج عن البشير الإبراهيمي في أوائل 1943،عادت إلى نشاطها التعليمي عبر المدارس لاسيما وأنّها أسّست في عام واحد ثلاثا وسبعين مدرسة عبر الوطن وهو ما سمح لها بتكثيف نشاطها التربوي رغم العقبات التي كانت تعترض طريقها [4].

[1]- عيون البصائر –مصدر سابق-ص146.

*- شوطان : أحد رؤساء الوزارات الفرنسية وأحد أقطاب الاستعمار وهو الذي أصدر قانونا بمرسوم يصرح باعتبار العربية لغة أجنبية في الجزائر .

[2]- بو الصفصاف عبد الكريم –جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية في الجزائر 1921-1940- مرجع سابق-ص216.

[3]- الخطيب أحمد –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر- مرجع سابق-ص205.

[4]- مازن المطبقاني –جمعية العلماء ودورها في الحركة الوطنية –نقلا عن :عمارة حياة –أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية –مرجع سابق-ص108.

عمل الإبراهيمي طول حياته في سبيل بعث الجزائر من سباتها ،وجاهد في سبيل نشر العربية والإسلام وكان همّه بعد وفاة عبد الحميد بن باديس وإسناد رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إليه ،إدارة دفّة سفينة الجمعية رغم العواصف .

الفصل الثاني

دفاع البشير الإبراهيمي عن اللغة العربية

لقد دافع الشيخ الإبراهيمي بكل ما أوتي من وعي إنساني وثقافي وديني عن اللغة العربية، ولقد نجح هو ومن معه من رواد الحركة الإصلاحية في الإعلاء من شأنها على الرغم من أنّ الوسائل كانت عزيزة عليه ونادرة، خاصة في القرى والمداشر لأنّ وسائل الإعلام لم تكن متاحة ، ثّم إنهّا حتى ولو وجدت كجريدة البصائر والعيون والشهاب ، فلم يكن بالإمكان الحصول عليها بكلّ سهولة ، إذ العيون الاحتلال كانت مفتحة على كل حركة من حركات المواطنين محبي بلادهم ولكن على الرغم من ذالك لم تندثر اللغة العربية ولم يستسلم الشعب الجزائري لتحديات الاستعمار الغاشم الذّي حوّل بيوت الله إلى كنائس ومنع أن يذكر فيها اسمه ، كما منع تدريس اللغة العربية أو حتى النطق بها"[1].ما جعل الإبراهيمي وأعضاء الجمعية يقفوا موقف الثائر في وجه المستبد الغاشم ، فأسسوا مدارس، وبنو مساجد و معاهد وأحيوا الصحافة دفاعا عن العربية وعن العروبة ككل .

المبحث الأول:وسائل الدفاع عن اللغة العربية.

أولا:الصحـــف:

يرى الدارسون أن الصحافة العربية في الجزائر حديثة العهد بالظهور،وذلك راجع إلى أسباب كثيرة،كانعدام الحرية في ظل الاحتلال،وانعدام وسائل الطباعة والنشر وغيرها،لكنها وبالرغم من تلك الظروف العصبية حظيت بمكانة مرموقة لدى جمعية العلماء واكتسبت أهمية بالغة خاصة في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين.فهي الوسيلة الرائجة الاستعمال آنذاك،بحيث أنها كانت سلاحا فعالا استخدمه رواد الحركة الإصلاحية ضد خصومها من الإدارة الفرنسية،فكانت جريدة المنتقد، والشهاب، والسنة النبوية، والشريعة المحمدية،والصراط السوي ثم جريدة البصائر التي اهتمت بشؤون الأمة العربية،وكافحت من أجل اللغة العربية.

[1]- المجلس الأعلى للغة العربية-دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة الغربية و أثره في الهوية اللغوية –مرجع سابق –ص237.

لقد كان لهذه الجرائد وجرائد أخرى دور كبير في إثراء النهضة الأدبية والثقافية في الجزائر"وقد ظلت الشهاب والبصائر بمثابة المعين الثرثار الزلال ماؤه،تستمد منه جميع الصحف الأخرى أو بمثابة القطب الذي تدور عليه الأشياء وتقوم حوله و أساسا لهذه النهضة ودعامة من دعائمها المتينة الثابتة،وقد عرفنا أكبر كتاب الجزائر وأعظمهم خطرا في حياتنا الفكرية والاجتماعية معا،خلال النصف الأول من هذا القرن(القرن العشرين) بواسطتهما وعلى أعمدتهما.

فلولا الشهاب لما عرفنا ابن باديس ونتاجه،وتفكيره وأعماله،ومذهبه الفلسفي في الإصلاح،ثم لولا البصائر لما عرفنا الإبراهيمي وأضرابه من قادة النهضة الأدبية في وطننا"[1].

فهاتان الجريدتان لم تنشر أعمال الأدباء الكبار فحسب، بل كانتا تشجّعان أعمال الشباب و تنشران مالهم من أعمال أدبية –شعرية كانت أم نثرية–و نظرا لما كانت تعيشه الجزائر في تلك الفترة الحالكة أبت جريدة البصائر إلاّ أن تنحى منحى جديد "فأصبحت تمثل العنصر الإعلامي الخطير على الوجود الاستعماري و أذياله من الوجهة السياسية،وهي من الوجهة الأدبية حقل تجريبي لأقلام الجزائريين الموهوبين تنشر مقالاتهم وقصائدهم و توجّههم."

و قد عمد القائمون على تلك الصحف تشجيع أولائك المبدعين الناشئين بغرض الحفاظ على اللغة العربية من ناحية،وإشراكهم في إحيائها وبعثها في الجزائر من ناحية ثانية.

ولعلّ أبرز من استفاد من خدمات تلك الصحف ورعاية أصحابها لهم، الشاعر"محمد العيد آل خليفة"وثلّة من الأدباء و الشعراء الشباب الّذين كان لهم الحظ الأوفر من صفحات الشهاب و البصائر.

و مردّ ذلك إلى أنّ شعره يحمل بين طياته كلّ مقوّمات العروبة من دين ووطن ولغة،فهو الآخر قد دافع عن عروبته في أشعاره كما دافع عنها البشير الإبراهيمي في مقالاته،وقد وصفه الشيخ بـ :"أنّه شاعر الشباب وشاعر الجزائر الفتاة،بل شاعر الشمال الإفريقي بلا منازع،شاعر مستكمل الأدوات

[1]– عبد الملك مرتاض–نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925–1945)–الجزائر–الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – 1985–ط2–ص121.

خصيب الذهن رحب الخيال، متّسع جوانب الفكر، طائر اللمحة، مشرق الدّيباجة، متين التركيب فحل الأسلوب، فخم الألفاظ، محكم النسج ملتحمه، مترقرق القوافي،لبق في تصريف الألفاظ وتنزيلها في مواضعها، بصير بحقائق استعمالات البلغاء، فقيه محقّق في مفردات اللغة علما وعملا وقف عند حدود القواعد العلمية، محترم للأوضاع الصحيحة في علوم اللغة كلّها لا تقف في شعره – على كثرته –على شذوذ أو رخصة أو تسمح في قياس أو تعقيد في تركيب أو معاضلة في أسلوب بارع الصنعة في الجناس و الطباق وإرسال المثل و الترصيع بالنكت الأدبية و القصص التاريخية. "[1]

إنّ هذه الصفات الّتي أضفاه الإبراهيمي على شاعر الجزائر محمّد العيد آل خليفة و شعره، جعلته ينبّه إلى وجوب جمع شعره وطبعه، لأنّ بقاء هذا الشعر غير مجموع وغير مطبوع في نظره من علامات نقص النهضة الجزائرية،يقول في ذلك:"رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها،وله في كلّ نواحيها، وفي كلّ طور من أطوارها،وفي كلّ أثر من آثارها القصائد الغرّ والمقاطع الخالدة، شعره لو جمع سجلّ صادق لهذه النّهضة، وعرض رائع لأطوارها"[2].

وهكذا سعى الإبراهيمي إلى جمع جلّ قصائد "محمد العيد آل خليفة" ونشرها على صفحات جريدة البصائر، كما أنّه قد لام الجزائريين الّذين لم يقدّروا هذا الشاعر حقّ قدره،فخطب في من حضر تدشين مدرسة بسكرة قائلا"إنّكم جهلتم قدر شاعركم، و واطأكم على هذا الجهل الجزائريون جميعا ولو كان محمد العيد في أمّة غير الأمّة الجزائرية لكان له شأن يستأثر بهوى النفس،وذكر يسير مسير الشمس."[3] كما عدّ أنّه من النقص "أن يبقى شعر محمد العيد غير مجموع ولا مطبوع " [4].

و إلى جانب محمّد العيد نجد ثلّة من المبدعين فتحت كلّ من جريدتي البصائر و الشهاب صفحاتهما لهم،فكانت هذه الأعمال لسانا ناطقا باسم الجمعية،بل باسم الشعب الجزائري،فأسهمت بحقّ في

[1]- مجلة الشهاب –ربيع الثاني وجمادى الأولى–جوان –جويلية-1938-ج4-ص268.

[2]- مجلة الشهاب –مصدر سابق-ح4-ص268.

[3]- جريدة البصائر-1952/02/05-ص7.

[4]-مجلة الشهاب –مصدر سابق-ج4-ص268.

رفع وعي الجزائريين وإيقاظهم من سباتهم للدفاع عن وطنهم دينهم و لغتهم التي حاول المستعمر سلبها منهم و إحلال اللغة الفرنسية محلّها.

ثانيا: المـــــــدارس

تعدّ المدارس واحدة من أهم الوسائل التي اعتمدتها الحركة الإصلاحية ،إذ شكلت منارات للعلم ونشر الوعي بين أفراد المجتمع الجزائري ،يقول الشيخ البشير الإبراهيمي :"حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس ،ما في هذا شك ،إلاّ أن قلوبا ران عليها الجهل،وغان عليها الفساد ونفوس ختم عليها الظلال وضرب على مشاعرها المسخ ،وطال عليها الأمد في الرّقّ، فصدأت منها البصائر ،وعميت الأبصار ،فتغيّر نظرها في الحياة ووسائلها ،فرضيت بالدون ولاذت بالسّكون"[1].

"الحياة بالعلم و المدرسة منبع العلم، ومشروع العرفان،وطريق الهداية إلى الحياة الشّريفة،فمن طلب هذا النّوع من الحياة من غير طريق العلم زلّ،ومن التمس الهداية إليه من غيرها ضلّ، وحياة الأمم الّتي نراها ونعاشرها شاهد صدق على ذلك." [2]ولما كان لهذه المؤسسات التعليمية من أهمّية في نشر الوعي بين صفوف الشعب الجزائري،ومن تثبيت معالم الهويّة الوطنية من لغة و دين،سعى الاستعمار الفرنسي بكلّ ماله من وسائل إلى المسارعة في غلق هذه المدارس وسجن معلّميها والاستيلا ء على الأوقاف الّتي كانت تموّلها،وفي المقابل أقدم على فتح مدارس أخرى تابعة له خادمة لأغراضه الدنيئة والمتمثّلة في طمس الهوية الوطنية بجعل اللغة الفرنسية لغة رسمية كما أشرنا سابقا. غير أن البشير الإبراهيمي لم يقف موقف المتخاذل أمام هذه المحاولات،بل عمد إلى إحياء دور المدارس الّتي شيّدتها جمعية العلماء عبر القطر الجزائري،وسخّرها لبعث أمجاد الأمّة وإحياء اللغة العربية،ومن بين تلك المدارس نخصّ بالذكر مدرسة دار الحديث بتلمسان الّتي كان يترأّسها الشيخ و الّتي عرفت إقبالا كبيرا من قبل السكان الّذين يكنّون لرئيسها كلّ الحب و الاحترام، يقول الدكتور محمد عباس "أنه سرعان ما ذاع

[1]- محمد البشير الإبراهيمي –آثار الإمام الشيخ البشير الإبراهيمي-مصدر سابق-ج1-ص283.

[2]- المصدر نفسه-ص283.

صيته، واتّسعت شهرته و أصبح الأستاذ الأوّل لفئات الشعب المختلفة بضواحي هذه المدينة التاريخية، ورسول اللغة العربية وباعثها و محييها ونافث سحرها في النّفوس، حتّى إذا ما نطق المحدّث بالعامية في بعض الدروس استهجنها النّاس ونبت عنها أذواقهم،فابتهجت روحه لهذا الصدى المبكّر في نفوس الجماهير ولهذه الاستجابة المفقودة الّتي حرّكت الهمم في بذل التبرّعات، وتقديم الإعانات المادّية، والهبات المختلفة لبناء المدارس للتعليم العربي الحر." [1]فقد أسهمت مدارس الجمعية إسهاما عظيما في تنشئة الشباب الجزائريين تنشئة عربية قومية كانت الأساس الذي حفظ للجزائر مقوّماتها الشخصية تجاه محاولات الاحتلال المستمرّة لضرب الشخصية الجزائرية[2].

وإذا كان حصر نشاط الإبراهيمي واستقصاء منجزاته على رأس الجمعية من الصعوبة بما كان،فيمكن الإشارة إلى بعض أهم تلك المنجزات فيما يلي :

أ– تأسيس معهد ثانوي بمدينة قسنطينة:

اهتمّ الإمام الإبراهيمي بمصير التلاميذ الّذين أنهوا مرحلة التعليم الابتدائي بمدارس الجمعية ففكّر في تأسيس معهد يكون عنوان مرحلة جديدة،يستكمل فيه أولائك التلاميذ دراستهم به بعدما تمّ افتتاحه سنة 1947م،وأطلق عليه اسم رائد النهضة الجزائرية"الشيخ عبد الحميد بن باديس"تخليدا لذكراه، و تلبية لرغبات حاملي الشهادة الابتدائية الّذين بلغ عددهم عشرات الآلاف.

و قد سعى الإبراهيمي لأن يكون هذا المعهد "فرعا من فروع الزيتونة، يستظلّ بحمايتها، و يتمتّع بما لها من قوانين و تراتيب إدارية" وكان للإمام من وراء ذلك الربط هدفان:

-إيجاد علاقة ثقافية علمية بين المؤسّسات التعليمية العربية.

[1]-محمد عباس –البشير الإبراهيمي أديبا –مرجع سابق –ص48

[2]- رابح تركي –التعليم القومي و الشخصية الجزائرية –مرجع سابق-ص227.

-تمكين حاملي شهادة المعهد من الالتحاق بالمؤسّسات التعليمية العليا في المشرق العربي،لأنّه كان ينوي"توجيه النوابغ لاستكمال معلوماتهم من جهة أخرى غير الزيتونة"[1]لاسيما و أنّ هذا الأخير كان يعدّ معبرا بعبر منه الطلبة المتفوّقين إلى معاهد المشرق العربي.

ب-بناء المدارس:

يعتقد الإمام الإبراهيمي أن التعليم نوع من الجهاد،ويرى المدارس ميادين للجهاد ويعتبر المعلّمين مجاهدين ،مستحقين لأجر الجهاد ، لأن التعليم هو ألد أعداء الاستعمار .

إن هدف الجزائر في تلك المرحلة هو التحرر من الاستعمار ، وقد كان الإمام مقتنعا أن ذلك التحرر لن يتم إلا إذا هيّئت وأعدّت وسيلته ،فلا يمكن أن "تسبق غاية وسيلتها "، وما الوسيلة -في رأيه – إلاّ العلم بأوسع معانيه .فهذه الجهود الجبارة التي تبذلها جمعية العلماء في سبيل العربية و الإسلام و التعليم كلها إنّما هي استعدادا للاستقلال ،و تقريبا لأجله .ويلاحظ في هذه الفترة التوسع في تعليم البنت الجزائرية ، في مجتمع كان يعتبر تعليم البنت من إحدى الكبائر ،وقد جادل جدالا كبيرا عن حقّها في التعليم ،وفتح لها الآفاق الواسعة للتعليم-بالرغم من سلطة العادات – وشجّعها –بمعيّة رفيق دربه – على تعليم البنات إلى درجة أنّهما جعلاه مجّانا . "وقد وصل عدد البنات في مدارس الجمعية بفضل هذه الخطّة إلى 5696 بنت سنة 1951،ليقفز إلى ثلاثة عشرة ألف سنة 1953"[2]

جـ-تكوين لجنة التعليم العليا : يؤمن الإمام الإبراهيمي أنه إذا اختلفت الأصول و المناهج في أمة كانت كلّها فاسدة ، لأنّ الصالح كالحق لا يتعدد ولا يختلف وإن توحيد الغايات لا يأتي إلاّ بتوحيد الوسائل ،ولذلك قرّر إنشاء لجنة خاصة بالتعليم ،فأنشأت في 13سبتمبر 1948م فكانت بمثابة وزارة تربية شعبية ،وعهد إليها بوضع البرامج ،وتقرير الكتب الدراسية ،وإصدار اللوائح التنظيمية وتعيين المتعلّمين ،ووضع الدرجات لهم ،واختيار المفتّشين ،وتنظيم ملتقيات تربوية[3].

[1]- محمد البشير الإبراهيمي –آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي –مصدر سابق-ص19.

[2]محمد البشير الإبراهيمي –آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي –مصدر سابق-ص21.

[3]- المصدر نفسه-ص23.

د–إرسال البعثات الطلابية إلى الدول العربية :بدأ تفكير الجمعية في إرسال بعثات طلاّبية إلى المشرق سنة 1938م، لكن الحرب العلمية الثانية حالت دون ذلك ،فلما وضعت الحرب أوزارها و استأنفت الجمعية نشاطها ، فكرت مرة أخرى في مسألة البعثات ،وبدأت بأقرب البلدان في الجزائر وهما تونس و المغرب ، حيث بلغ عدد الطلاب فيهما سنة 1953م ألفا و مائتي طالب ثم تمكنت من إرسال الفوج الأول إلى مصر ،في السنة الدراسية 1951-1952م وكان يضم خمسة وعشرين طالبا و طالبة واحدة.

قضى الإبراهيمي قرابة الثلاثين سنة في وضع أسس بناء صرح المعرفة بهذه البلاد، فترك جيلا من الجزائريين يتكلّم العربية وينشرها في المدارس بعدما كادت الفرنسية تقضي على البقية الباقية من أثر العربية .وبذلك استطاعت الجمعية إنقاذ ما يمكن إنقاذه من مليوني طفل عربي مسلم ،كما قامت بتشييد مدارس أخرى مع بداية ثورة نوفمبر 1954م، وأكثر من ذلك سعت مع الحكومات العربية باسم الأمة الجزائرية بإرسال مئات من الطلبة الجزائريين للدراسة على نفقة هذه الدول .

ثالثا: المساجـــد

تعدّ المساجد مدارس ثانية اتخذتها جمعية العلماء أماكن للتربية و التعليم و نشر اللغة العربية،وبعث الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر ،وكما نشطت في تأسيس المدارس على نطاق واسع في القطر كله كذلك نشطت في تأسيس المساجد و الجوامع التي كانت مهمتها تقتصر على أداء فريضة الصلاة فقط ،فتعدتها لنشر العلم وبث الوعي و اليقظة في الجزائريين بحيث أسست الجمعية بواسطة شعبها في مختلف جهات القطر عددا كبيرا من الجوامع و المساجد الحرة التي كانت تعتمد في بقائها و أداء رسالتها على ما تبدله الأمة من معونات نقدية.وعندما منعت دولة الاحتلال رجال جمعية العلماء في عام1933من إلقاء دروس الوعظ و الإرشاد في المساجد الخاضعة لإشرافها ثارت نخبة الأمة،كما يقول الإبراهيمي فأنشأت بمالها بضعة وتسعين مسجدا في سنة واحدة[1].

[1]– رابح تركي –التعليم القومي و الشخصية الجزائرية –مرجع سابق–ص245.

وقد كان الإبراهيمي يلقي الدروس فيها ، كما يصرّح قائلا " كنت ألقي عشرة دروس في اليوم أبدأها بدرس في الحديث بعد صلاة الصبح، و أختمها بدرس في التفسير بين المغرب و العشاء بعد صلاة العتمة."[1]

فقد بدأ الشيخ الإبراهيمي حركته التعليمية و الإصلاحية في المساجد بإلقاء دروس الوعظ و الإرشاد لعامّة الناس، فكان لذلك صدى مبكّر في صفوف الجماهير،إذ يقول "والوعظ الدّيني هو رائد جمعية العلماء إلى نفوس الأمّة جعلته مقدّمة أعمالها، فمهّد واستقر، وذلّل الصعاب، وألان الجوامح و عليه بنت هذه الأعمال الثابتة من إصلاح للعقائد، ونشر للتعليم، ومنه جنت كلّ ما تحمد الله عليه من نجاح ."[2]فمثلما كان هناك تعليم يلقّن في المدارس الحرّة للصغار،كان في المقابل تعليم ديني يلقّن في المساجد لكبار السن، يقول الإبراهيمي"موقف الجمعية في التعليم العربي و الديني هو أبرز مواقفها فقد كان التعليم العربي الحر يدور في دائرة ضيقة من أمكنته وأساليبه و كتبه، فسعت الجمعية بما استطاعت من أساليب أن توسّع دائرة الأمكنة بإحداث مكاتب حرّة للتعليم المكتبي للصغار ، وبتنظيم دروس في الوعظ و الإرشاد الديني في المساجد"[3].

و اشتهر الإبراهيمي بخطبه الدينية المرتجلة في المساجد،حيث لقيت هذه الخطب صدى مبكر في نفوس الجماهير، و لعلّ من أشهر خطبه تلك الّتي ألقاها في حفلة التكريم للشيخ عبد الحميد ابن باديس –رحمه الله–بمناسبة اختتامه لتفسير القرآن الكريم،إذ يقول :هذا هو اليوم الذي التفّت فيه الأمّة حول دينها ولغتها فأثبتت أنّها أمّة مسلمة عربية، يأبى لها دينها أن تلين فيه للمعاجم، و تأبى لها عربيتها أن تدين فيها للأعاجم. "[4]

[1]–محمد البشير الإبراهيمي (أنا)–نقلاعن : المصدر نفسه–ص50.

[2]– عيون البصائر –مصدر سابق –314.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي –آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي –مصدر سابق–ج1–ص191.

[4]– آثار الشيخ البشير الإبراهيمي –ج1–ص251 نقلا عن : محمد عباس –البشير الإبراهيمي أديبا –مرجع سابق–ص205

ثمّ يضيف قائلا"هذا هو اليوم الّذي يختم فيه إمام سلفي تفسير القرآن الكريم تفسيرا سلفيا ليرجع المسلمون إلى فهمه فهما سلفيا —في وقت طغت فيه المادّة على الروح، ولعب فيه الهوى بالفكر وهفت فيه العاطفة بالعقل، ودخلت فيه على المسلم دخائل الزيغ في عقائده وأخلاقه وأفكاره — وفيأمّة تقطّعت صلاتها بالسلف وضعف تقديرها للقرآن فأصبح ملهات آذان ومشغلة لسان، وأصبح حفاّظها يقرؤونه للتبرّك أو يتجّرون به في المقابر..."[1].

المبحثالثاني:نماذج عن مقالاته.

عرف الإبراهيمي ببيانه الجزل وأسلوبه المتين،ولعل ذلك مردّه إلى كثرة محفوظه من أشعار المتقدمين والمتأخرين وحفظه للقرآن الكريم والأحاديث النبوية في سنّ مبكرة،وقد شهد له بهذه المنزلة كبار المفكرين والعلماء والأدباء قديما وحديثا،ف"محمد سعيد رمضان البوطي" يقول بعد أن تحدث عن إعجابه بالأفكار التي ينادي بها الإبراهيمي والقيم التي يدعو إليها:" إنّي لا أزال مأخوذا بالبيان العربي الجزل لهذا العالم الثائر الجليل،ولعلّي لا أشرد إلى الغلو إن قلت: مزية يعلو بها الشيخ الإبراهيمي على سائر علماء ومفكري عصره في الجزائر"[2] .

وتعد مقالات الشيخ البشير الإبراهيمي التي نشرت في (عيون البصائر)صورا من إبداعه الأدبي ضربت بجذورها في أعماق التراث العربي القديم ، فهي بمثابة ثقافة تقود إلى الحقيقة ،وتبشّر بالنصر وتدافع عن الذات الجزائرية وترفض كل أشكال التغريب و الهيمنة ،وهي ذات القضايا التي آمن بها جلّ الشعراء و الأدباء في الوطن العربي، و دافعوا عنها ،ومن بين هذه المقالات :

أولا:اللغة العربية عقيلة حرة ليس لها ضرة :

يقول البشير الإبراهيمي :" اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة ،بلهي في دارها وبين حماتها ،وهي ممتدة الجذور مع الماضي مشتدّة الأواخي مع الحاضر،طويلة الأفنان في المستقبل ممتدّة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم

[1]- آثار الشيخ البشير الإبراهيمي —ج1-ص251- نقلا عن :المرجع نفسه —ص205-206.

[2]_ محمد سعيد رمضان البوطي _نقاط هامة استوقفني في الفكر الإمام الإبراهيمي www.binbadis.net

بإقامتهم .فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأدب وضرب بجيرانه فيه أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح،مادام الإسلام مقيما لا يتزحزح ،ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس وتتسارع في الألسنة و اللهوات،وتنساب بين الشفاه و الأفواه..."[1]

"يقف الإبراهيمي في هذا المقام موقف المدافع ليرد أباطيل الاتهام الاستعماري ويدحض عنها زيغ أعدائها الذين "اتخذوها أجنبية"في عقر دارها ،ويقيم لها تثبيتها في التاريخ وعراقتها في القدم ، ويبين قوة ترابطها الأبدي مع الإسلام الذي يمدها حيويته و يغذيها بروحانيته،مما زادها هيمنة على المشاعر ووقعا فطريا في النفوس "[2].

ويقول الإبراهيمي :"أن مما أغناها طيبا وعذوبة أن القرآن بها يتلى وأن الصلوات بها تبدأ وتختم —فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها ،وخالطت الحواس و الشواعر وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا،فأصبحت لغة دين و دنيا معا وجاء قلم التدوين فدوّنت بها علوم الإسلام وآدابه و فلسفته و روحانيته"[3]،فالملاحظ أن الإبراهيمي يميل في مناقشته لمسألة اللغة إلى إقناع المتلقي و الدليل على ذلك أنه في معظم مقالاته ،خاصة فيما يتعلق بقضية اللغة و الدين ،فإنه يعرض الفكرة ثم تجده يشرح ويعلل أو يفترض مستقصيا كل الحجج والتي تمكنه من دحض المزاعم و إبطالها ،وهذا هو أسلوب الحجاج أو الاحتجاج لقضية ما ،وحتى لا تنشأ الفتنة بين أهالي الجزائر[4] .

لقد حاول أعداء اللغة العربية تشتيت وحدة العرب ،خاصة بعد الفتوحات الإسلامية التي اعتنق فيها كثير من الأقوام الدين الإسلامي لما وجدوا فيه رأفة ورحمة وحسن خلق ،وذلك كان طوعا لا كراهية.

يقول البشير الإبراهيمي : "وطار إلى البربر منها قبس لم تكن لتطيره لغة الرومان ،وزاحت البربرية على ألسنة البربر فغلبت وبزّت ، وسلّطت سحرها على النفوس البربرية فأحالتها عربية ، كل ذلك باختيار

[1]–عيون البصائر —مصدر سابق —ص221.

[2]– محمد عباس — البشير الإبراهيمي أديبا —مرجع سابق–ص125.

[3]– عيون البصائر —مصدر سابق —ص221.

[4]– المجلس الأعلى للغة العربية —مرجع سابق —ص246.

لاأثر فيه للجبر ، واقتناع لا يد فيه للقهر ، وديمقراطية لا فيها للاستعمار .وكذّب وفجر كل من يسمي الفتح الإسلامي استعمار . وإنّما هو راحة من الهم الناصب ، ورحمة من العذاب الواصب و إنصاف للبربر من الجور الروماني البغيض"[1] .

سخر الاستعمار كل طاقته لإحلال البربرية مكان اللغة العربية الرسمية ف البلاد فأخذ يناور وبكل دناءة و مكر موهما نفسه وطائفة من الأمة أن الجزائر مجموعة من الأجناس ،فسعى لإنصاف اللغة البربرية و إكرام أهلها و ترديد حقيقة أصالتها في هذا الوطن ،وذلك من أجل التفرقة الشنيعة بين العرب و البربر ،و القضاء على اللغة الرسمية و إحلال محلّها البربرية يقول في ذلك :"من قال إن البربر دخلوا في الإسلام طوعا فقد لزمه القول بأنهم قبلوا العربية عفوا ،لأنهما شيئان متلازمان حقيقة و واقعا ،لا يمكن الفصل بينهما ،ومحاول الفصل بينهما كمحاول الفصل بين الفردقين"[2].

قد ادعى الاستعمار ، والعلماء الخادمين لسياسته أن العربية قاصرة عن ميادين العلم ، عاجزة عن مسايرة التطور و التجديد ،وأن العرب في القديم لم يفعلوا أكثر من ترجمة ما عند الغير من علوم ، فلم يكن لهم حظ في ميدان الابتكار و التجدد ، فانبرى الإبراهيمي ليفنّد هذه الأباطيل بأسلوب العلم المتمكن النزيه ويبين أن أسلافنا الأوائل اطلعوا على الفرس و الروم و اليونان و الهند ، ونهلوا منها ما يفيد دون عقدة نقص ،فصحّحوا و أضافوا و ابتكروا ،و ما يزال الباحثون النّزهاء يؤكدون أن ما في حضارة الغرب اليوم من خير هو من بقية عصارة ذلك الفكر العربي المبدع الأصيل.يقول الشيخ ردّا على تلك الادعاءات :"إن العربي الفاتح لهذا الوطن جاء بالإسلام ومعه العدل ،وجاء بالعربية ومعها العلم ،فالعدل هو الذي أخضع البربر للعرب ، و لا كنه خضوع الأخوة ، لا خضوع القوة ، وتسليم الاحترام ،لا تسليم الاجترام ،و العلم هو الذي طوع البربرية للعربية ، ولكنه تطويع البهرجة للجيد ، لا طاعة الأمة للسيدة "[3].

[1]- المجلس الأعلى للغة العربية –مرجع سابق –ص221.

[2]- عيون البصائر –مصدر سابق –ص222.

[3]- المصدر نفسه –ص222.

ثم يضيف :"لتلك الروحانية في الإسلام ، وذلك الجمال في اللغة —أصبح الإسلام في عهد قريب صبغة الوطن التي لاتنصل و لاتحول ، و أصبحت العربية عقيلة حرّة ، ليس لها ضرة" [1]،يرى الإبراهيمي أن العربية و الإسلام تجمعهما روح واحدة فقبل كل شيء هي لغة القرآن الكريم ، اختارها الله ليكلم بها المخلوقات فهي خالدة خلود القرآن الكريم وهي تراث عظيم علينا التمسك به .

"بهذا البعد النظري يرد الإبراهيمي على المكر الاستعماري ، ويثبت للعربية حياتها الفعلية وصيرورتها في الجزائر ويجنبها اشتراكها في الصراع المفتعل ، ويقرّ لها جنسيتها داخل المفهوم الشمولي للشخصية العربية الإسلامية عامة ، و الشخصية الجزائرية خاصة بكل ما تتضمنه من دين و جنس و لغة و وطن ."[2]

و الإبراهيمي ، وهو يتحدّث عن اللغة العربية و ثرائها الّذي يخوّلها مرتبة الرّيادة بين لغات العالم، كان يشير دوما إلى ثرائها الفنّي الجمالي و يؤكّد عليه، بل كان يستثمره في كتاباته، ففي مقاله هذا رونق فنّي بالغ الجمال مردّه إلى كثرة الصور البيانية والمحسّنات البديعية الّتي لا يسعنا ذكرها في هذا المقام- لأنّها ليست موضوع بحثنا- لذا نقف عند عنصر واحد أكثر من استخدامه -على سبيل المثال لا الحصر- ذلك هو الطباق بنوعيه.فقد غلب على هذه المقالات الطباق الإيجابي ونجد ذلك في قوله أنّ الصلوات بها تبدأ و تختم /ترحل برحيلهم و تقيم بإقامتهم / ممتدة الجذور مع الماضي ،مشتدّة الأواخي مع الحاضر....

كما نجد أن هذه المقالة تعجّ بالإحالات بشكل ملفت للانتباه، فالكاتب كلّ ما ذكر عنصرا معيّنا يعود ويحيلنا إليه فمثلا في قوله" اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة،بل هي في دارها وبين حماتها،وهي ممتدّة الجذور مع الماضي مشتدّة الأواخي مع الحاضر".فالهاء هنا تحيلنا إلى لفظة سابقة لها و هي اللغة العربية .

كما نجده قد استخدم اسم الإشارة في قوله "إنّ العربي الفاتح لهذا الوطن /إن هذا الوطن ..."

[1]- عيون البصائر —مصدر سابق —ص222.

[2]- محمد عباس — البشير الإبراهيمي أديبا —مرجع سابق-ص125

فاسم الإشارة "هذا" يحيل إلى لفظة ما بعدها هي الوطن.

وقد وردت الأسماء الموصولة بكثرة في هذه المقالة من بينها حروف العطف ونجدها في العبارة التالية "بل هي في دارها .....فالملاحظ أن الإبراهيمي اعتمد على حرف العطف "بل "لتحقيق الترابط و التماسك بين الجمل، فهو في ذلك قد جمع بين متناقضتين (عربية ودخيلة)ثمّ نفى كلامه بحرف العطف "بل"،وصرّح بشيء آخر وهو أنّ اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة بل هي في وطنها ودارها،فرغم الورود القليل لحرف "بل" إلاّ انه أسهم في وصل أجزاء النص و الربط فيما بينها.

وعموما فقد دافع الإبراهيمي عن ماضي الشعب الجزائري المجيد و أضاء عمقه التاريخي و الحضاري من خلال تذكيره بسلفه و تراثه وثقافته الأصيلة متخذا من أدبه سلاحا يحمل بين طياته جملة من المعاني و القيم التي يعتز بها العربي. فقد عرف بشدة حبه للغة العربية فبان ذلك في عمق كتاباته ، فهي في رأيه لا تعتبر لغة جامدة غير قادرة على استيعا ب ما وصلت إليه مختلف الحضارات بل يرى فيها قالبا يتسع لأكثر من ذلك ،كيف لا وهي حضارة الإنسانية يوم كانت اللغات الأخرى في حالة نسيان وجمود،ويؤكد ذلك بقوله :"وقد كانت هذه اللغة ترجمانا صادقا لكثير من الحضارات المتعاقبة التي شادها العرب بجزيرتهم ، وفي أوضاع هذه اللغة إلى الآن من آثار تلك الحضارات بقايا وعليها من رونقها سمات ، وفي هذه اللغة من المزايا التي يعز نظيرها في لغات البشير الاتساع في التعبير عن الوجدانيات ، و الوجدان أساس الحضارات و العلوم كلها"[1].

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي –آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي-مصدر سابق –ج1-ص374.

ثانيا:سجع الكهان:

إنّ من أشهر أعمال الإبراهيمي سلسلة المقالات التي نشرت في الفترة الممتدة من 28فيفري1949 إلى 25 جويلية1949 تحت عنوان "سجع الكهان"وقال عنها"هذه فصول إن لم تكن فيها روح الكاهن ففيها من الكاهن سجعه،وإن لا يجل في جوانبها صدى الكهانة ففيها من ذلك الصدى وجعه،فيها الزمزمة المفصّحة،والتعميمة المبصّرة،وفيها التقريع والتبكيت،وفيها السخرية والتنكيت وفيها الإشارة اللّامحة، فيها اللفظة الجامحة وفيها العسل للأبرار، وما أقلّهم، وفيها اللّسع للفجّار،وما أكثرهم ، فلعلّها تهزّ من أبناء العروبة جامدا ، أو تؤزمنهم خامدا،فنجني شيئا من ثمرة النية ، ونغير أواخر هذه الأسماء المبنية"[1].

و"سجع الكهان" يعني أنّ الكهّان كانوا يروّجون الأباطيل بأسجاع تروق للسّامعين ، فيستميلون بها القلوب ويخدعون بها السّائلين،يقول الإبراهيمي"...اصطنع الكهّان السّجع ليروقوا السّامع ويروعوه و ليسهل على النّاس فيحفظوه ويعوه،ولهم في حوك الكلام مقامات حسان،أخذ منها ابن دريد والهمذاني في تلك المقامات الحسان،سبقوا في السّجع فما سبقهم إلّا الحمائم،وأخذوه طبعا فما لحقهم فيه صنعا إلّا بعض دوي العمائم"[2].

فلقد كان الكهّان من السّباقين إلى النطق بالسّجع،حتّى غلب على كلامهم،واختصّ بهم،كما اختصّ الشعر بالشعراء،فعرف لذلك ب(سجع الكهان)،وقد كان الكهّان حكّاما يفصلون في الخصومات بين النّاس،يأتي إليهم المتخاصمون،وبعد أن يؤكدّوا لهم رضاهم وقناعتهم بحكمهم،يحكمون بينهم فيما يرونه،وينسب النّاس إلى الكهّان إدراك الغيب يأتي إليهم فيلقي لهم بما يراه ويعلّمهم من المغيبات عمّا

[1] _عيون البصائر_ مصدر نفسه_595 .

[2] _ مصدر نفسه _ص596 .

[2] -جواد علي_ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام _ جامعة بغداد _1971_ج8_ص740 .

سيسألون ، ولذلك ورد:أنّ الكهانة هي ادعاء علم الغيب،كالإخبار بما سيقع،وورد الكاهن:القاضي بالغيب وكلّ من أدلّ بشيء قبل وقوعه [1].

ولعل ما يفسر تسمية الإبراهيمي مقالاته ب" سجع الكهان " هو أنه أراد أن يجلب أسماع الحكومة والشعوب العربية يلفت انتباههم إلى حسن الدّباجة تارة،وإلى مواقفهم الذّليلة تارة أخرى،متتبعا في ذلك طريقة الكهّان من حيث استخدام السجع القصير،والألفاظ المبهمة إلى غير ذلك،ولقد لجأ الكاتب إلى هذا الأسلوب أملا منه في أن يلقي استجابة من الملوك والحكّام العرب وشعوبهم .

ويفهم من روايات أهل الأخبار ومن كتب الحديث والموارد الأخرى،أن الكهانة كانت شائعة في الناس،فكانوا يقصدونهم في كل شيء لاستشارتهم وللأخذ برأيهم وللفصل في الخصومات والنّزاعات،إلى أن حرّمها الإسلام،وقد أشار الإبراهيمي إلى ذلك في قوله:"فلمّا جاء محمد بالحق،فاء النّاس إلى ضمائرهم،وحكموا هديّة في سرائرهم،وردّوا الغيب إلى عالمه فاستراحو ا..."، وإذا عدنا إلى القرآن الكريم نجد آيات تنفي الكهانة عن الرّسول_صلى الله عليه_وسلم-منها قوله تعالى:(فذكّر فما أنت بنعمة ربّك بكاهن ولا مجنون) [2]،وقوله عزّ وجلّ:(ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) [3].فقد زعموا أنّه كاهن كما زعموا أنّه مجنون،فوبّخوا لزعمهم هذا،وقيل لهم أنّ محمد ليس بكاهن فتقولون هو من سجع الكهّان.

يقول الأزهري:"وكانت الكهانة في العرب قبل مبعث سيّدنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فلمّا بعث نبيّنا وحرست السّماء بالشّهب ومنعت الجنّ والشّياطين من استراق السّمع وإلقائه إلى الكهنة،بطل علم الكهانة،وأزهق الله أباطيل الكهّان بالفرقان الّذي فرّق الله عزّ وجل بيه بين الحقّ

[1] _ عيون البصائر_ مصدر سابق _ص596 .
[2] _ سورة الطور_الآية 29.
[3] _سورة الحاقة _الآية 42.

والباطل وأطلع الله سبحانه نبيّه صلى الله عليه وسلم بالوحي على ما شاء من علم الغيوب الّتي عجزت الكهنة عن الإحاطة به،فلا كهانة اليوم بحمد اللّه ومنه إغنائه بالتّنزيل عنها"[1].

إنّ سجع الكهان طريقة خاصّة ميزته عن سجع غيرهم،فهو قصير الفقرات،يلتزم التقفية وتساوي الفواصل من كلّ فقرتين أو أكثر ، يعمد إلى الألفاظ العامّة المبهمة المعماة،وإلى تكوين الجمل الغامضة ليمكن تأويلها وتأويلات متعدّدة،أو تفسيرها بتفاسير كثيرة لا تلزم الكاهن فيقع في حرج"[2].

فبالإضافة إلى كون هذه المقالات مسجوعة فإنّها كذلك لم تخل من الألفاظ الغريبة،فكان يعبّر أنّ ما يراه النّاس ليس غريبا إلا على الغرباء عن العربية،ولو أحسنوا استعمال تلك الألفاظ في مواضعها من كلامهم لتيسّر لهم فهمها،يقول:"وفي هذه الفصول من لبوس الألفاظ ما يعدّه المتخلّفون من كتابنا عربيا ، وما غرابتة في أذواقهم إلاّ كغرابة الأغلاق النفسية في أسواقهم،ولو حفظوه ووعوا معاينه وأقرّوه في مواضعه من كلامهم وأحسنوا إجراءه في ألسنتهم وأقلامهم لأحيوه به،ولأصبح مأنوسا لا غريبا، وأصبحوا به من لغتهم قريبا،ولكن أعياهم الإحسان فغفروا في وجوه الحسان،وعجزوا في جني الثّمرة عن الهصر، فرضوا من اللغة بما يباع في سوق العصر"[3].

لقد تنوّعت الأسجاع في هذه المقالات منها ما كان فيه الفصلان متساويان كقوله:"أيها العرب أطعتم الكبراء فأضلّوكم،وخضعتم للأمراء فأذلوكم" [4].أما ما طالت فقرته الثانية مثل في قوله:"أيّها الأعارب:هل فيكم بقايا من حرب أو محارب"[5].

[1] _ابن منظور_ لسان العرب_بيروت_ دار صادر_1994م 13.ط3_ص363 .
[2] _ المصدر نفسه_ص795 .
[3] _ أحمد طالب إبراهيمي _ آثار لإمام محمد بشير لإبراهيمي _مصدر سابق_ ج3_ ص518 .
[4] _أحمد طالب إبراهيمي_ آثار لإمام محمد بشير لإبراهيمي_ مصدر سابق _ج3_ص603 .
[5] _المصدر نفسه_ص524 .

غير أنّه قد غلب على هذه المقالات السجع القصير الذي يمتاز بقلة الألفاظ المكوّنة لفقرة وقد أجمع النّقاء على أنّ هذا الضّرب من أوعر السّجع مذهبا وأبعده متنا وأحسنه استعمالا،وذلك لأنّ الفواصل كلّما كانت متقاربة كلّما سلكت أقصر الطرق إلى سمع السامع،وتمكنت من الولوج إلى قلبه دون استئذان،ومن أمثلة ذلك قوله:"أيها الهائمون في البيد،النائمون على الذّل المبيد،الرّاضون بعيشة العبيد..."[1] ،وقوله أيضا:"أي جيران الشمال،ومعاقد الآمال،أعدكم بالعروبة وهي الأم،وبالوطن وهو الهم،والأم..."[2].

وقوله في المقالة الخامسة"والعتاق و الضمّر،والعقبان و الحمّر،والهامّة ودمّر والزّامر إذا زمّر والخادع ما دمّر والعامر إذا عمّر،والشّمري إذا شمّر ومن حبس الجيوش جمّر ومن دخل ظفّار فحمّر،إنّ للظماء مآرب في ماء هارب،إنّها تلوب على مطلوب،كوّنه الحياء،فكوّن به الحياة،فلا تجد إلّا السراب والخراب والغراب"[3].إن قسم الإبراهيمي بهذه الأمور المختلفة هو في الحقيقة اقتداء بما كان يفعله الكهّان بحيث انّه حرس في هذه الفقرة على إيصال المعنى إلى المخاطب في شكل جلي،فهو لم يلتفت إلى تناسب الفواصل وتشابه الأواخر إلّا في مواضع قليلة .كما قد استهل الإبراهيمي مقالته الرابعة بأرجوزة تتكوّن من أربعة عشر بيتا،عبّر فيها عن حال اليمن في تلك الفترة ومعاتبا أهلها على تخاذلهم بقوله:

أَخنىَ الزَّمَن عَلى اليَمَـــن أَيَّدَهَـــا ضابًا بمَـــــن

جَيشُ الشّفَا لهـَـا كَمَـــن مَهزُولَـــةٌ عَلَى السَّمَـــن

مَغصُـــوبَـــةٌ بلاَ ثَمَـــن دُستُورهَـــا:لَا تَفهَمَـــن

[1] _ أحمد طالب إبراهيمي_ آثار لإمام محمد بشير لإبراهيمي_ مصدر سابق _ج3_ص532.

[2] _ مصدر نفسه_ص534 .

[3] _ مصدر نفسه _ص530 .

لاَ تَقـــر أن لا تَعلَمَـــن سَل سَيفَهَـا أَنتَ لمَـن؟

سَل سَيفهَا بيَد مَـــــن؟ أَغربَـــةٌ على دَمَـــــن.

لاَ نَاصرَ ولاَ مُؤتمَـــــن عُد للحمَى يا ابن اليَمَن.

جد بالدّمَاء من غَير من إن لم تَذُد عَنهَا فَمَـــن[1]

غير أن هذه البداية بالرجز تتوقف ليحل محلها النشر:يستعرض فيه ومن خلاله تاريخ في الماضي،ويعرض للدول التي قامت في هذه البقعة وكان لها أثر في الماضي يذكره،ثم اندثرت مع الزمن،أو يسخر من الأحفاد لأنهم سنوا هذا الماضي وتنكروا له،ويمدح (الأسلاف)وينتقد (الأخلاق) وغرضه من هذا كلّه هو بثّ السخط في النفوس وحثها على النهوض[2].

يبدأ بالقسم في المقالة السادسة-ساخرا-بالذيب والثعبان مؤكّدا قلّة وجود الرجال الأحرار،كما يؤكّد ظلم العربي إن بقي في هذا المجتمع الظالم،ويؤكد سيادة الباطل على الحق في هذا العالم فيقول:"أقسم بالذيب الأطلس،والثّعبان الأملس،إن المتجر بالأحرار لمفلس وإن العاقل بين الأشرار المبلس،وإن العربي الزنيم إذا بقي في المجلس[3].

ثم يخاطب العرب ناهيا إياهم عن قبول الذل والمهانة فيقول:"أيها الهائمون في البيد،النائمون على الذل المبيد،الراضون بعيشة العبيد،على البرير و الهبيد لن تزالوا كذلك أبدا الأبيد، لا عمر لبد أو لبيد، حتى تعملوا بقول الشاعر:و منومن، فهو دين كل زمن[4].

[1]_ عيون البصائر _مصدر سابق_ص604 .

[2]_ عبد الله ركيبي_ تطور النشر الجزائرئ الحديث_ مرجع سابق_ص159 .

[3] عيون البصائر_ مصدر سابق_ص609 .

[4]_ مصدر نفسه_ ص609 .

كما نجد يؤكّد أن للغرب ثأرا لدى المسلمين،وأنهم متحالفون مع اليهود الصهاينة إذا تعلق الأمر بحرية فلسطين ،ثم يقول:"أنسيتم ما فعله صلاح الدين بالمتعدين؟إن نسيتم أمسكم فهم له ذاكرون..."فكيف للعرب أن ينسوا أمجادهم التاريخية في رد ظلم الظّالمين واعتداء المعتدين؟إن نسيتم أمسكم فهم له ذاكرون..."[1] .

لقد خطّطوا بقول الإمام وتحركوا واتحدوا ضدنا،في حين نحن تفرّقنا ولم نحتط للأمور وكانت النتيجة أن"اجتمعوا و افترقتم،فسلموا واحترقتم"[2] ثم يقسم الإمام مؤكدا أن فلسطين لم تضع اليوم،ولكنها ضاعت حين وعد لهم بالفوز وعملوا لتحقيق الوعد،وتقاعسنا نحن متخاذلين متكاسلين.

-يقول:"لا تقولوا إن شر دين،ما جرّ التشريد للمشردين،فإن شرا منه عقلكم الذي جر العار للعرب أجمعين،وكرّ بالخزي على جميع المسلمين" [3]يخاطب الإمام العرب في هذا القول فيقول لهم أن العيب ليس في دينكم وإنما العيب فيكم انتم اللذين شاركتم في تشريد الفلسطينيين.ويختم الإبراهيمي كلامه مخاطبا للعرب قائلا:"أيها العرب،بعضكم أبرار وجلكم أشرار ،وكلكم أغرار..."[4].

وبما أن مضمون هذه المقالات سياسي،فإن الكتاب كان يعرف مسبقا مآل صاحبها لو كشف اسمه،لذلك لم يعمد إلى إثباته في آخر كل مقاله وإنما كان يشير إليه بقوله:"كاهن الحي" وهذا ما كان يفعله الكهان إذ كثيرا ما يتّجهون إلى الإيماء والرمز تهربا من التصريح وخشي افتضاح الأمر .

إنّ المتتبّع للمقالين السابقين-وغيرهما من المقالات-يلحظ منذ الوهلة الأولى مستوى الإبراهيمي اللغوي الراقي و براعته الفنّية الّتي يصعب مضاهاتها، فقد شملت مقالاته كلّ الخصائص الفنية، من تنويعه في الأساليب كالاعتماد على الصور البيانية و التراكيب التي تعمد إلى تشويق القارئ و التأثير

[1] _عيون البصائر_ مصدر سابق_ص610 .
[2] _ عيون البصائر _مصدر سابق_ص610 .
[3] - المصدر نفسه_ص610 .
[4] _المصدر نفسه_ص610 .

فيه. أكثر من استخدام السجع و انتقائه للألفاظ التي لها جرس موسيقي و عبارات رنّانة قويّة ، فتحقّقت بذلك الصياغة العالية،إضافة إلى ترابط الأفكار بشكل وثيق مع بعضها البعض، ما يجعل الجمل في انسجام دائم،حيث تشكّل الجمل وحدة متكاملة من حيث المعنى و البناء الفني و الأدبي.

قائمة المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** :رواية ورش عن نافع .

الكتب :

1-الإبراهيمي، أحمد الخطيب :آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي-دا الغرب الاسلامي-1997م-ط2-ج1، 5.

2- الإبراهيمي، محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي-الجزائر – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - ط1-ج1، 2، 3، 4، 5.

3- الإبراهيمي، محمد البشير: عيون البصائر-القاهرة-دار الأمّة-1930م.

4- الإبراهيمي، محمد البشير: في قلب المعركة-الجزائر-دار الأمّة-1994م.

5-ابن باديس، عبد الحميد : آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس - بتصرف يسير-الجزائر-مطبوعات الشؤون الدينية-1991م-ط1-ج4، 6.

6-بن عاشور، محمد الطاهر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام-الجزائر-المؤسسة الوطنية للكتاب-1985م-ط2.

7- بو الصفصاف، عبد الكريم:جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الجزائرية الوطنية-الجزائر-دار البعث-1981م.

8-تركي، رابح :التعليم القومي و الشخصية الوطنية- الجزائر- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع-1975م.

9-تركي، رابح :الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النّهضة الإسلامية العربية في الجزائر –موفم للنّشر-2003م-ط2.

10-تركي، رابح :الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح و التربة في الجزائر-الجزائر-المؤسسة الوطنية للاتصال-2001م-ط5.

11-العسلي، بسام :عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية-بيروت-دار النفائس-1986م-ط2.

12- الخطيب، أحمد :جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر-الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب-1985م.

13-سعد الله، أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية-بيروت-دار الغرب-1992م-ط4-ج2.

14-عباس، محمد :البشير الإبراهيمي أديبا- الجزائر-ديوان المطبوعات الجامعية-المطبعة الجهوية بوهران -1984.

15- محمد حميداتو، مصطفى :عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية-الدوحة-وزارة الشؤون الدينية-1997م-ط1.

16-المدني، أحمد توفيق :حياة كفاح مع رحب الثورة التّحريرية- الجزائر- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع-1998م-ج3.

17- المجلس الأعلى للغة العربية-دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية و أثرها في الهوية اللغوية- الجزائر-منشورات المجلس-2016م-ج2.

18- المطبقاني، مازن :جمعية العلماء و دورها في الحركة الوطنية-الجزائر-مؤسسة عالم الأفكار للطباعة و النشر و التوزيع-2011م .

19-مرتاض، عبد المالك: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(في الفترة مابين 1925-1945)- الجزائر- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع-1985م-ط2.

المجلات :

1-الثقافة-مجلة- ع87-1985م

2- الموافقات-مجلة- ع4-1996م.

3-مجمع اللغة العربية –مجلة-القاهرة-العدد21-1966م.

الجرائد:

1-البصائر-جريدة-س1-ع1-1935-1937م

2-البصائر-جريدة-س1-ع2-1936م

3-البصائر-جريدة س1-ع9-1952

4-البصائر-جريدة-س1-ع9-1947م.

5-الشهاب –جريدة –ج4-1938

المذكرات:

1-عمارة، حياة :أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية-رسالة دكتوراه- تلمسان -جامعة أبوبكر بلقايد للغات والأدب2013-2014م.

1- شريف، عبد الغفور:موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر(1954-1956)-الجزائر-كلية العلوم السياسية والإعلام-2010-2011م

3- زرمان، محمد : الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي -رسالة دكتوراه- قسنطينة-جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-1994-1995م

الفهرس

مقدمة أ-ب

مدخل :جهود جمعية العلماء المسلمين الإصلاحية **01**

الفصل الأول : الإصلاح عند البشير الإبراهيمي 13

المبحث الأول : 16

المبحث الثاني :ميادين الإصلاح عند البشير الإبراهيمي 19

1- الميدان الديني 19

2- الميدان الاجتماعي 22

3-اليدان التعليمي 26

الفصل الثاني : الدفاع عن اللغة العربية 31

المبحث الأول :وسائل 33

1-الصحف 33

2- المدارس 36

3- المساجد 39

المبحث الثاني :نماذج عن مقالاته 42

1-اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرّة ليس لها ضرّة 42

2-سجع الكهّان 47

خاتمة 54

قائمة المصادر و المراجع 57

فهرس الموضوعات

الملخص